دكتور
محمد الأنور حامد عيسى

قضايا عقدية

الطبعــة الأولى
١٤٠٩ — ١٩٨٨

رقم الايــداع

١٩٨٩/١٥١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

وبعـــد

فهـذه قضايا عقـدية ، أردت بها أن أقرب بالتبسيط والتوضيح والاكثار من الأدلة لذهن القارىء العزيز دعاوى كلامية ، أثارها الامام محمد بن محمد بن محمد الغـزالى — ٤٥٠ — ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ — ١١١١ م فى القطبين الثالث والرابع من كتابه الاقتصاد فى الاعتقاد .

ولقـد رتبتها وفقا لترتيب الغزالى ، وسرت على نفس النهج الذى سـار عليـه .

واقتضتنى المتابعة أن أعرف فى البـدء ببعض المصطلحات التى تتردد كثيرا فى القضايا الكلامية ، مثل الواجب ، والحسن ، والقبيح ، والعبث ، والسفه ، والحكمة .

ثم انتقلت لبعض القضايا الكلامية ، التى هى موضع أخـذ ورد بين الأشاعرة والمعتزلة ، مثل : — التكليف بمـا لا يطـاق ، وايلام الأطفال والحيوانات ، والصلاح والأصلح ، والثواب والعقاب ، ووجوب النظر لمعرفة الله سبحانه وتعالى ، وحكم ارسال الرسل .

بعـد ذلك شرفت بالانتقال بالحـديث الموجز عن رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومناقشة بعض المنكرين ، والحـديث عن

بعض السمعيات التى أشار اليها الغزالى فى كتابه الاقتصاد فى الاعتقاد .

وانى لأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا لما فيه العلم الحق والعمل الحق انه نعم المولى ونعم المجيب .

د. محمد الأنور حامد عيسى

مدينة نصر

١٤٠٩ هـ — ١٩٨٨ م

أفعـــال الله سبحانه وتعالى

لمــا كان الله سبحانه وتعالى هــو الخالق ولا خالق سواه ، وهو المــالك فى الحقيقة ولا مالك غيره ، وهــو المشرع للكل ولا مشرع فوقه ، فله سبحانه ان يتصرف فى مخلوقاته وفق مشيئته بالاحياء أو الإمـاتة، بالإعطاء أو بالمنع، وهو أن أعطى فبفضله وأن منع فبعدله. وأفعاله عز وجل لا يوصف شيء منها بالوجوب وانما هى كلها جائزة .

يذكر الامام الغزالى فى بداية القطب الثالث من كتابه الاقتصاد فى الاعتقاد أن هــذا القطب يشتمل على سبع دعاوى وهى كالآتى :

١ ــ لله سبحانه وتعالى ألا يخلق الخلق ، وان خلقهم فله عز وجــل ألا يكلفهم أو يكلفهم .

٢ ــ وله عز وجل أن يكلف بما ليس فى الطاقة .

٣ ــ وله سبحانه أن يؤلم الأطفال أو يعــذبهم بلا جناية منهم ويؤلم الحيوان البرىء بلا عــوض .

٤ ــ أنه ليس بواجب عليه سبحانه رعاية الأصلح لعباده .

٥ ــ وليس بواجب عليه أن يثيب المطيع أو يعاقب العاصى .

٦ ــ معرفة الله سبحانه وتعالى واجبة بايجاب الشرع لا العقل .

٧ ــ يجوز له سبحانه وتعالى أن يرسل الرسل وليس الارســال بمحال ولا بواجب .

أسس لفهم الدعاوى السابقة :

ولكى تفهم هـذه الدعاوى بطريقة صحيحة ، وينأى المتجادلون عن التخبط فى الآراء وكثرة الخطأ ، ويتم التحاور بطريقة موضوعية ، يلزم تحـديد المفاهيم والاتفاق على معانى للمصطلحات المستخدمة •

وفى الدعاوى المطروحة للمناقشة تتردد مصطلحات الواجب — الحسن — القبيح — السفه — العبث — الحكمة •

فما معنى كل مصطلح من هـذه المصطلحات •

انه لمن العجب أن يتخاطب اثنان فى أن العقـل يوجب كذا ولا يوجب كذا ، ويحسن كذا ، ويقبح كذا ، وهمـا معـا لم يعرفا معنى الواجب والحسن والقبيح ، ولم يتفقا على معنى فيما بينهما •

هـذا وقـد عنون الغزالى المسائل الكلامية التى هى موضـع خلاف بينه وبين خصومه والتى تتعـدد فيها الآراء وتتغاير الأدلـة بالدعاوى ومفردها الدعوى[1] •

أولا — معنى الواجب :

يطلق على القـديم أنه واجب ، ويقال وجبت الشمس وجبـا ووجـوبا بمعنى غربت ، وفى القرآن الكريم « فـاذا وجبت جنوبهـا فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون »[2] وجبت أى سقطت • وهـذه المعانى لا تتصل بموضوعنا •

ثم ان الفعل اذا كان مستوى الطرفين أى لا يترجح الفعـل على

---

(١) الإقتصاد فى الاعتقاد للغزالى ص ٢٢ تحقيق الشيخ محمد مصطفى ابو العلا . مكتبة الجندى .

(٢) سـورة الحج الآية ٣٦ .

الترك ، ولا يكون الترك أولى من الفعل أو ترجح الفعل على الترك لفائدة كالتجارة واكتساب المـال وتأدية النوافل ، فهـذان الأمران لا يقال عن أحـدهما واجب • واذا ترتب على الترك ضرر متـــوهم فهـذا لا يقال عنـه واجب •

أما اذا ترتب على ترك الفعل ضرر محقق ، فان كان الضرر محتملا فانه لا يسمى واجبـا •

فالعطشان الذى لا يهلك اذا لم يشرب ، لا يقال له يجب عليك أن تشرب ، أما اذا ترتب على ترك الفعل ضرر محقق فى العاجـل وغير محتمل فانه يسمى واجبا •

والعطشان الذى يترتب على عـدم شربه المـاء ، الهـلاك المحقق يجب عليه ان يشرب • والمتعرض للسباع الضارية يجب عليـه أن يفر منها • واذا كان يترتب على ترك الفعل ضرر محقق فى الآجل وعرف ذلك بالشرع فهـذا أيضا يسمى واجبا •

فالذى أمر بالايمـان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليـوم الآخر وبالقـدر خيره وشره ، يجب عليه أن يؤمن ، اذ يترتب على عـدم ايمانه ضرر محقق فى الآخرة وهو العـذاب الأليم •

وبعـد (فقـد تحصلنا على معنيين للواجب ورجع كلاهما الى التعرض للضرر وكان أحـدهما أعم اذ لا يختص بالآخرة • والآخر أخص وهـو اصطلاحنا)(٣) •

وهـذان المعنيان الأول ما كان فى تركه التعرض للضرر المحقق فى الدنيا ، وهـذا يعرف بالعقـل وهـو أعم اذ قـد تضاف الآخرة الى الدنيا •

---

(٣) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٣٩ •

الثانى : ما كان فى تركه التعرض للضرر المحقق فى الآخرة وهـذا لا يعرف الا بالشرع وهـو أخص •

وهناك تعريف ثالث للواجب ومعناه أنه الذى يؤدى عـدم وقوعه الى محال ، فيقال ما علم الله سبحانه وتعالى وقوعه ، فوقوعه واجب ، فاذا علم الله سبحانه حـدوث الايمان من شخص بعينه ، فى ساعة بعينها ، وفى مكان بعينه ، فيجب أن يتحقق هـذا الايمان ، لانه اذا لم يتحقق يؤدى هـذا الى محال ، وهـو انقلاب علم الله جهلا تنزه سبحانه وتعالى عن ذلك • وهـذا التعريف الثالث يذكره الغـزالى كتعريف ثالث للواجب فى « الاقتصاد فى الاعتقاد » الا أنه فى الاحياء يدمج التعريفات الثلاثة فى تعريفين اثنين حيث يقول (المراد بالواجب أحـد أمرين اما الفعل الذى فى تركه ضرر ما آجل ، كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعـذبه فى الآخرة بالنار • أو ضرر عاجـل كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت •

واما أن يراد به الذى يؤدى عـدمه الى محال كما يقال وجـود المعلوم واجب اذ عـدمه يؤدى الى محـال وهـو أن يصـير العـلم جهـلا)[4] •

ويعرف القاضى عبد الجبار الواجب بقوله هو (ما اذا لم يفعله القادر عليه استحق الذم •••• وان شئت قلت فى حـد الواجب هـو ما للاخلال به مدخل فى استحقاق الذم أو للاخلال به تأثير فى استحقاق الذم)[5] •

أما الجرجانى فيقول ان الوجوب الشرعى « هـو ما يكون تاركه

---

(٤) احياء علوم الدين للغزالى حـ ١ ص ١١٧ طبعة الحلبى سنة ١٩٣٩ .

(٥) شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٣٩ — ٤١ مكتبة وهبـه سنة ١٩٦٥ .

مستحقا للذم والعقاب • أما الوجــوب العقلى فهو ما لزم صــدوره عن الفاعل بحيث لا يتمكن من الترك »(٦) •

وبعــد هــذه التعريفات لمعنى الواجب فاننا نسأل ما معنى أن كذا واجب على الله سبحانه وتعالى ؟

ان كان المراد بالواجب ما كان فى تركه ضرر محقق فى العاجـــل أو الآجل ، فانه سبحانه وتعالى منزه عن الحاق الضرر بذاته العلية ، لانه مالك الكل يفعل اذا شاء ويترك اذا شاء •

وان كان المراد بالواجب استحقاق تاركه الذم اذا كان قادرا على فعله ولم يفعله كما يقول المعتزلة ، فهــذا مرفوض وغير متصور فى حقه سبحانه وتعالى لانه المــالك المشرع الأعلى •

وان كان المراد بالواجب صــدور الفعل عنه سبحانه بحيث لا يتمكن من الترك ، فهــذا يعنى الجبر ، والجبر نقص ، وهــو سبحانه منزه عن النقص •

(ثم ان الوجوب حكم ، والحكم لا يثبت الا بالشرع ، ولا حاكم على الشارع ، فلا يجب عليه شىء ، ولانه لو وجب عليه شىء فان لم يستوجب الذم بتركه لم يتحقق الوجوب ، لان الوجوب كون الفعــل بحيث يستحق تاركه الذم ، وان استوجب تركه الذم كان البارى تعالى ناقصا لذاته مستكملا بفعله وهــو محال)(٧) •

أما اذا كان المراد بالواجب أنه هــو الذى يؤدى عــدم وقوعــه

---

(٦) التعريفات للجرجانى ص ٢٥٠ دار الكتب العلمية بيروت ط ١٩٨٣ •

(٧) شرح مطــالع الأنظار لأبى الثناء الأصفهانى على متن الطــوالع للبيضاوى ص ١٩٦ ط ١٣٢٣ هـ •

الى محال فهــذا لا خلاف فيه ، فالذى علم الله سبحانه وقوعه يجب أن يقــع لترتب محال على عــدم وقوعه وهو انقلاب علمه جهلا والله منزه عن ذلك ٠

ثانيا ــ الحسن والقبيح :

للحسن والقبح تعريفات متعــددة منها :

أولا : الحسن ما كان صفة كمال كالعلم والايمان ، والقبيح ما كان صفة نقص كالجهل والكفر ٠

ثانيا : الحسن ما وافق الغرض ، والقبيح ما كان مخالفـــا للغرض ٠

وذلك لان الفعل بالنسبة للفاعل اما أن يكون موافقا للغرض وملائما له ، واما أن يكون منافيا وغير ملائم للغرض ، واما أن يكون لا يوافق ولا يخالف الغرض ٠

فان كان موافقا وملائما للغرض فهو حسن فى حق الفاعل ٠

وان كان مخالفا وغير ملائم للغرض فهو قبيح فى حق الفاعل ٠

أما اذا كان لا ينافى ولا يوافق فهــو عبث أى لا فائدة فيـــه وفاعله يسمى عابثا كما يسمى سفيها ٠

وقــد يكون الفعل الواحــد موافقا لغرض شخص ومنافيا لغرض شخص آخر فهو بالنسبة للأول حسن وبالنسبة للثانى قبيح ٠

وقــد يكون الفعل الواحــد موافقا لغرض شخص من جهة ، ومخالفا لغرض نفس الشخص من جهة أخرى ، فالذى لا يؤمن بدين

يستحسن ارتكاب الزنا بزوجة الغير ، لان الفعل يوافق غرضه الخبيث بينما يستقبح أن يزنى آخر بزوجته ، لان الفعل يخالف غرضه .

بل اذا قتل ملك من الملوك فان الفعل الذى هو القتل يستحسنه كل أعداء المقتول لانه وافق غرضهم ، بينما يستقبحه كل أوليائه لانه خالف غرضهم .

يقول الغزالى : (وبهذا يتبين على القطع أن الحسن والقبح عبارة عند الخلق كلهم ، عن أمرين اضافيين يختلفان بالاضافات لا عن صفات الذوات التى لا تختلف بالاضافة) فيجوز أن يكون الفعل الواحد حسنا فى حق شخص قبيحا فى حق شخص آخر اذا وافق غرض الأول ولم يوافق غرض الثانى بينما لا يجوز أن يكون الشىء الواحد أبيض فى حق شخص أسود فى حق شخص آخر ، وذلك لأن السواد والبياض ليسا من الأوصاف الاضافية وانما من الصفات الذاتية للشىء والتى لا تختلف من شخص الى آخر . وقد يقال ان الحسن ما فيه مصلحة والقبيح ما فيه مفسدة .

وهذان المعنيان للحسن والقبح يعرفان بالعقل ولا خلاف فيهما بين المتكلمين(٩) .

تعريف ثالث :

ويعرف الحسن بأنه ما تعلق به المدح فى الدنيا والثواب فى الآخرة أو ما ورد الشرع بالثناء على فاعله .

والقبيح ما تعلق به الذم ، فى الدنيا والعقاب فى الآخرة أو ما ورد الشرع بذم فاعله(١٠) .

---

(٨) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٤٠ .
(٩) شرح مطالع الأنظار ص ١٩٥ .
(١٠) شرح المواقف حـ ٣ ص ١٤٦ ط ١٣١١ هـ .

موقف المتكلمين من التعريف الثالث

اختلف المتكلمون هـل يدرك الحسن والقبح كما هـو فى التعريف الثالث بالشرع أم بالعقل.

قال الأشاعرة . ان الفعل قبل الشرع لا يدرك حسنه ولا قبحـه اذ لا حسن ولا قبح فى الفعل قبل ورود الشرع ، والشرع هـو الذى يحسنه بالأمر بفعله ويقبحه بالنهى عن فعله .

دليـل الأشـاعرة :

ودليلهم على ما يقولون لو كان الحسن أو القبح أمرا ذاتيا أى لذات الفعل أو بصفة لازمة لـما تخلف لكن التالى باطل ، اذ أننا نرى أن الصـدق حسن وينقلب الى قبيح اذا كان مع العـدو فى الحرب .

كما نرى أن الكذب قبيح وينقلب الى حسن اذا كان لتشكيك العدو وهكذا . وهـذا يدل على أن الحسن أو القبح ليس أمرا ذاتيا للفعل أو لصفة لازمة يدرك بالعقلوانما الحسن ما حسنه الشرع والقبيـح ما قبحـه الشرع .

المعتزلة والتعريف الثالث

أما المعتزلة فيقولون أن الفعل قبل الشرع حسن أو قبيح ، وان الحسن حسن فى نفسه وحسنه لذاته أو لصفة لازمة لذاته وان القبيح قبيح فى نفسه وقبحه لذاته أو لصفة لازمة[11] .

وان العقل يدرك الحسن أو القبح ، والشرع كاشف وموضح فقط

(١١) شرح مطالع الأنظار ص ١٩٥ .

للحسن أو القبح ، واذا تغير حال الفعل من حسن الى قبيح أو العكس بفعل الأزمان أو الأشخاص فان الشرع يكشف ما تغير •

وقالوا ان العقل قد يدرك جهة الحسن التى فى الفعل بالبداهة وقد يدركها بالنظر والتأمل ، وقد يتوقف وينتظر مجىء الشرع •

ويستدلون على ما يقولون بقولهم ان الناس جميعا متفقون على أن العدل حسن ، وأن الظلم قبيح ، وليس هذا الاتفاق بلازم عن العرف ، لان العرف متغير ، اذا فاتفاقهم بسبب كون الفعل فى ذاته حسن أو قبيح ويدرك العقل حسنه أو قبحه •

ويؤكدون دعواهم هذه بقولهم ان الانسان اذا دعى الى أمر استوى فيه الصدق والكذب فانه يختار الصدق دون روية وهذا يدل على أن الحسن ذاتى ويدرك بالعقل • وكذا من رأى طفلا يغرق فأنه يسارع الى انقاذه لمعرفته بعقله أن الانقاذ أمر حسن وأن عدم الانقاذ أمر قبيح •

الرد عليهم :

ويرد عليهم بأن الاتفاق هنا بين الناس تم لكون الحسن أو القبيح بمعنى الموافقة للغرض أو المخالفة • أو كون الحسن صفة كمال والقبح صفة نقص • وهذا لا نزاع فيه • وايثار الصدق لأنه قد تقرر أنه ملائم لمصلحة العالم ، وايثار الانقاذ للرقة فى الطبع البشرى(١٢) •

هذا وفى اطار موافقة الغرض أو مخالفته يحدد الغزالى تعريفين للحسن والقبح •

---

(١٢) الارشاد للجوينى ص ٢٥٨ — ٢٦٧ ط ١٩٥٠ وشرح المواقف جـ ٣ ص ٢٦٧ •

الأول : أن كل ما يوافق الغرض عاجلا كان أو آجلا فهو حسن .

وان كل ما يخالف الغرض عاجلا كان أو آجلا فهو قبيح .

وهـذا التعريف أعم من الذى يليه لشمول الغرض للدنيـا والآخرة بالموافقة أو المخالفة .

الثانى : وهـو أخص من سابقه : ان الحسن هـو ما يوافـق الغرض فى الآجـل وهـو الذى حسنه الشرع بالأمر بفعـله والثنـاء والوعـد بالثواب عليه .

أما القبيح فهو ما يخالف الغرض فى الآجل وهـو الذى ذمـه الشرع ونهى عن فعله وتوعـد فاعله بالعقاب .

ولمـا كان الحسن فى التعريف الأعم هـو ما يوافق الغرض فى العاجل والآجل فان من لا يؤمن بالله ينظر الى التكاليف الشرعية على أنها غير موافقه لغرضه وبالتالى فهى قبّيحة. كما يفسَر أى ابتلاء بالقبح لعدم إيمانه بالله.

أما المؤمن فهو ينظر الى الابتلاء نظرة الراضى ويحس أنه موافق لغرضه لترتب الثواب والنعيم الأخروى عليه لمن يصبر ويحتسب .

أما بالنسبة لفعل الله فهو حسن كيف كان : بمعنى أنه لاتبعـة عليه فيه ولا لائمـة لأنه يفعل فى ملكه ، وليس فى معناه أبدا موافقـة الغرض لأنه لا غرض فى حقـه سبحانه(١٣) .

كما أنه (لا قبيح بالنسبة الى ذات الله تعالى فانه مالك الأمور على الاطلاق يفعل ما يشاء ويختار لا علة لصنعه ولا غاية لفعله)(١٤) .

---

(١٣) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٤١ .

(١٤) شرح مطالع الأنظار على الطوالع ص ١٩٥ .

ثالثا ــ العبث والسفه :

والعبث فى اللغة اللعب واللهو يقول تعالى : (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون)(١٥) أى لعبا ولهوا أو للعب واللهو •

وأصل السفه الخفة والطيش ، والسفيه الخفيف العقل الجاهل(١٦) ويعرف القاضى عبد الجبار العبث بأنه (كل فعل يفعله أنفاعل من دون عوض مثله ، وذلك كأن يستأجر أحدنا أجيرا بأجرة تامة ليصب الماء من نهر الى نهر من دون أن يكون له فى ذلك غرض)(١٧) •

ويمكننا القول بأن العبث فعل ما ليس فيه فائدة ولا غرض وكذا السفه وهما معا يصدران عن خفة فى العقل وعدم تقدير صحيح للأمور •

(وفاعل العبث يسمى عابثا ، وربما يسمى سفيها • وفاعل القبيح ، أعنى الفعل الذى يتضرر به يسمى سفيها واسم السفيه أصدق عليه من العابث)(١٨) •

ولعلنا نلحظ أن الغزالى أعطى معنى للعابث والسفيه ، فهما اللذان يفعلان ما يلحق بهما الضرر فالذى يلعب بالنار هو عابث وسفيه لأنه يعرض نفسه للضرر •

---

(١٥) سورة المؤمنون آية ١١٥ .

(١٦) لسان العرب مادة ع ب ث ، س ف هـ .

(١٧) شرح الأصول الخمسة ص ٥١٤ .

(١٨) الاقتصاد ص ١٣٩ .

رابعا — الحكمة والحكيم :

فى اللغة الحكمة هى العلم والحكيم هو العالم .

ويقال الحكيم هو المحكم للشىء كما يقال هو الذى يمنع نفسه عن هواها وعن كل القبائح .

كما يقال الحكمة معرفة الأشياء بحقائقها ووضعها مواضعها . وهذا التعريف يجعل الحكمة بمعنى العلم والفعل[19] .

فاذا كانت الحكمة بمعنى العلم فمعناها الاحاطة الكاملة بنظم الأمور ومعانيها الدقيقة ومعرفة كيف ينبغى أن تكون لتؤدى غرضها على الوجه الأكمل .

أما اذا كانت بمعنى الفعل فيكون معناها القدرة على ايجاد النظام والاحكام والاتقان .

وعلى هذا يقال حكيم من الحكمة بمعنى العلم بنظم الأمور . وحكيم من الاحكام بمعنى الفعل أى ترتيب وايجاد الأشياء على نظام متقن ومحكم .

(١٩) تبصرة الأدلة للنسفى ص ٤٢٠ تحقيق د. محمد الأنور .

غلطـات يجب التعرف عليها

*** الغلطـة الأولى وأساسها التعميم :**

ان الانسان يحكم على الشيء بأنه قبيح قبحـا مطلقا لأنه لم يوافق غرضـه وان كان يوافق غرض غيره ، الا أنه لم يلتفت الى ذلك الغير ودفعـه شغفه بنفسه وعـدم اهتمامه بغيره الى الغاء أغراض الآخرين جميعا ، واعتبار غرضـه هـو كل شيء ، وبالتالى حكم بأن الشيء قبيح فى ذاته لأنه مخالف لغرضـه هـو • وفى هـذا التصرف تعميم لا معنى لـه •

وهذا مـصـيب في حق نفسـه، لأن الشيء لم يوافق عرضـه، لكنه مـخطئ بحكمـه بالقـبح المطلق على الشيء، وبإضـافـة القـبح إلى ذات الشيء، وبغـفلته عن أغراض الآخرين، وكـان من الأحرى أن يتـيقن وأن يبتعـد عن التعميم ، ويقـول ان هـذا الشيء قبيح لأنه لا يوافـق غرضى وربمـا يكون حسنا بالنسبة للآخرين اذا وافق غرضهم •

*** الغلطـة الثانية وأساسها القصور فى الاستقراء :**

ان ما كان مخالفا للأغراض فى جميع الأحـوال الا فى حالة نادرة قـد يغفل عنها الانسان ، أولا يحفل بهـا لسيطرة الأحـوال المخالفة عليه مما يجعله يحكم بقبح الشيء قبحا مطلقا •

فالكذب مثلا يربى الانسان منذ صغره على أنه قبيح ، ويعرف فى كل الأحـوال أنه قبيح ، وأن قبحه لأنه كذب لذاته لا لمعنى زائد ، مع أن الانسان لو قام باستقراء تام لكل الأحـوال لعلم أن الكذب مـع الأعـداء قـد يكون حسنا •

فالأسير حينما يكذب على آسريه من الأعــداء يكون فعله حسنا ، لتضليله للعــدو وحفاظه على أسرار بلده وان كان يستقبح الكذب فى كثير من المواطن ، لذا يلزم الالتفات الى هـذا النادر ولا يحكم بالقبح المطلق على الشىء فى جميع الحالات .

* الغلطــة الثالثة وأساسها الوهم :

ذلك أن الوهم قــد يسبق الى العكس فان الذى لدغتــه حيــة ورآها أثناء اللدغ متشكلة فى صورة حبل ملون فانه اذا رأى بعـــد ذلك حبـــلا ملونا فأنه يصاب بالفزع قبــل أن يتبينه ويتــوهم دون أن يفكر أنه حيــة .

والامام الغزالى يضرب عــدة أمثله لتأكيد هــذه الغلطة ، من هــذه الأمثلة أن الانسان إذا قال قــولا معقولا لمعتزلى ، صــدقه المعتزلى واثنى على هــذا القــول ، فان هــو أوضح أن هــذا القــول لأشعرى نفر طبع المعتزلى وســارع بالتكــذيب والعكس بين المعتزلى والأشعرى صحيح طبعــا .

وفى القبائل البشرية قبائل تشتهر بالغباء هــذه القبائل تسمى أبناءها عادة بأسماء هى موقوفة عليهم ، تنفر منها طباع كثير من الناس لأنها تدل على المسمى ، فاذا سمى بهــذه الأسماء أناس من قبــائل تشتهر بالذكاء والرقــة ، لنفر الطبع البشرى من مجرد سماع الاسم ، لسبق الوهم الى العكس لأنه أدرك هــذه الأسماء من قبــل مقرونة بمسميات قبيحة (وهــذا مــع وضوحه للعقل فلا ينبغى أن يغفل عنه لأن اقــدام الخلق واحجامهم فى أقــوالهم وعقائدهم وأفعالهم تابع لمثل هــذه الأوهام)(١) .

---

(١) الاقتصــــاد فى الاعتقـــاد ص ١٤٣ .

اعتراض على تعريف الأشاعرة للحسن والقبح

سبق أن قلنا أن الحسن هو ما وافق الغرض والقبح ما خالفه • وهنا يرد اعتراض مفاده أننا نرى بعض العقلاء يستحسنون ما ليس لهم فيه غرض أو فائدة ، بينما يستقبحون ما لهم فيه فائدة •

أما استحسان ما ليس فيه فائدة أو غرض ، فمثاله الانسان الذى يلقى بنفسه ـ وهو لا يستطيع السباحة وراء انسان يغرق فى النهر لينقذه وهو أصلا لا يؤمن بالشرع حتى يقال انه ينتظر الجزاء الحسن من المشرع ، كما أن أحدا لا يراه حتى يمدحه على فعلته فهذا قد استحسن ما ليس له فيه فائدة أو غرض •

ومثال من يستقبح ما فيه فائدة أو غرض له الأسير المسلم الذى يطالبه العدو بالنطق بكلمة الكفر حتى يطلق سراحه ، وهو يعلم أن المشرع قد أباح له ذلك ، يقول سبحانه وتعالى : « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان »[٢] •

فان هو نطق أفرج عنه وتحقق الغرض بعودته الى جيش المسلمين والى أهله •

ومع هذا فانه يستقبح النطق بكلمة الكفر مع أن الفائدة واضحة ومحققة ، فهو اذا قد استقبح ما له فيه فائدة أو ما وافق الغرض •

ويذكر الغزالى مثالا آخر لمن يستقبح ما له فيه فائدة بالأسير الذى لا يؤمن بشرع ويحمل على نقض العهد بالسيف فان هو فعل أطلق سراحه ولحق بقومه •

وهذا أمر حسن بالنسبة له • ومع ذلك فانه لا ينقض العهد

---

(٢) سورة النحل الآية ١٠٦ •

ويفضل القتل ، فقد اختار ما فيه ضرر محقق فى الدنيا وليس له من ثواب فى الآخرة لعدم ايمانه بالشرع(٣) .

وعلى هذا فان الحسن ليس ما وافق الغرض وكان فيه فائدة والقبيح ليس ما خالف الغرض وخلا من الفائدة وانما معناهما أمر آخر .

الجواب على الاعتراض السابق

يجيب الامام الغزالى على هذا الاعتراض بالقول (بأن فى الوقوف على الغلطات المذكورة ما يشفى هذا الغليل)(٤) .

ثم يبين ، ونحن معه ، أن ترجيح الانقاذ للغريق مثلا على تركه مع أنه ليس موافقا ولا مخالفا لغرض المنقذ وليس المنقذ بمعتقد لشرع حتى ينتظر العوض بالجزاء الحسن ولا هو بمرئى من أحد حتى يثنى عليه أو يمدحه — انما هو دفع للأذى الذى يلحق الانسان فى رقة الجنسية وهو طبع يستحيل الانفكاك منه .

ويشرح الغزالى الموقف بأن الانسان المنقذ يتخيل نفسه هو الذى يغرق وأن غيره قادر على انقاذه ، وأن هذا الغير ينصرف عن الانقاذ ، وبالتالى يستقبح المنقذ انصراف الغير ويستحسن الانقاذ ويتجه الى فعله مباشرة . ويقول سعد الدين التفتازانى (وأما انقاذ الهالك فلرقة الجنسية المجبولة فى الطبيعة وكأنه يتصور مثل تلك الحالة لنفسه فيجره استحسان ذلك الفعل من غيره فى حق نفسه الى استحسانه من نفسه فى حق غيره(٥). كما أن الانسان بطبعه يستحسن الثناء ويميل الى الشفقه على الخلق .

---

(٣) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٤٥ .
(٤) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٤٥ .
(٥) شرح المقاصد للتفتازانى الجزء الثانى ص ١١٢ ط ١٢٧٧ هـ .

فلو افترض عـدم وجـود أحـد ليمدح أو يشكر فهـذا مستبعد (فان فرض فى موضع يستحيل أن يعلم فيبقى أيضا ترجيحه فى نفسه وميل يضاهى نفرة طبع السليم عن الحبل المبرقش اللون وذلك أنه رأى الثناء مقرونا بمثل هـذا الفعل على الاضطراد وهـو يميل الى الثناء فيميل الى المقرون به)[6] •

فالانسان بطبعـه يرى الثناء والمدح مقرونا بمثل هـذا الفعل بصفة مستمرة ، وبالتالى لميله الى الثناء فانه يفعل الشىء دون أن يوجـد أمامه من يثنى أو يمـدح حتى وان علم بعقله عـدم الثناء • والعاقل المسلم لا يستقبح النطق بكلمة الكفر لعلمه بأن قلبـه مطمئن بالايمـان ، ولـما يترتب على هـذا النطـق من انقـاذ لنفسه من قطع الرقبـة •

فان استحسن العاقـل المسلم الاصرار على عـدم النطق بالكفر مـع أن فى اصراره الهـلاك المحقق فلسببين : أحـدهما اعتقـاده أن الثواب فى الآخرة على صبره واستسلامه لقطع الرقبة أكثر من الثواب على نطقـه بكلمة الكفر ، والآخر ما ينتظر بعـد موته من ثناء الناس عليه وحـديثهم المستفيض عنه وعن قوة ايمانه وصلابته فى الدين •

أما الذى لا يؤمن بدين سماوى ولا يعتقد فى ثواب أو عقـاب أخروى ويصر على عـدم نقض العهد وبذلك يعرض نفسه للهـلاك ، فـلا عتقاده ولمعرفته فى دنيـا النـاس أن الخلق يمدحـون وتلهـج ألسنتهم بالثناء على من يفى بالعهد ويتواصون على مر العصور بمدحه لأن فى الوفاء بالعهد مصالح كثيرة للناس جميعـا (فان قـدر حيث لا ينتظر ثناء فسببه حكم الوهم من حيث أنه لم يزل مقرونا بالثناء الذى هـو لذيذ والمقرون باللذيذ لذيذ)[7] •

---

(٦) الاقتصـاد فى الاعتقـاد ص ١٤٥ — ١٤٦ •
(٧) الاقتصـاد فى الاعتقـاد ص ١٤٧ •

الدعـــــوى الأولى

الخلق والتكليف بين الأشـاعرة والمعتزلة

يقـول الأشـاعرة ان لله سـبحانه وتعـالى ألا يخلق أحـدا من الخلق ، واذا خلقهم فليس الخلق بواجب عليه ، لأنه يتصرف فى ملكه ولا يلحقـه ضرر بالخلق أو عـدمه •

كما أنه يجوز لـه سبحانه وتعالى اذا خلق الخلق ألا يكلفهم ، ولو كلفهم فليس التكليف بواجب عليه •

بينما يذهب المعتزلة الى القـول بأنه يجب عليه سبحانه أن يخلق الخلق ، وأن يكلفهم بعـد خلقه لهم •

الغـزالى والمعـتزلة :

يناقش الغزالى قـول المعتزلة بأن الخلق والتكليف واجب على الله قائلا أن هـذا القـول لا معنى لـه ، لأننا عرفنا أن الواجب ما يلحق تاركه ضررا ان فى الدنيا وان فى الآخرة ، والله سبحانه وتعالى لا يلحقه أى ضرر فلا واجب عليـه •

ثم ان الوجوب عليه سبحانه وتعالى باطـل لأنه (الآمر ولا يصح أن يكون وهـو آمر مأمورا لنفسه ، لأن التضايف بين الأمر والمـأمور يقتضى تعـددا وتقابلا فلا يصح ان يفرض ذلك فى ذات واحـده •

ولا يصح أن يكون مأمورا لعبد لأن الأمر انما يكون من الأعلى الى من دونه والبارى هـو أعلى الموجـودات) •

---

(١) شرح الارشاد لابن ميمون ص ٥٠٣ الأنجلو المصرية ١٩٨٧ •

وكذلك عرفنا أن الواجب ما يترتب على تركه محال ٠

ويوافق الغزالى المعتزلة فى هـذا التعريف ويمكن توضـيحه بالمثـال الآتى :

لو علم سبحانه وتعالى بعث رسول من الرسل فى وقت كذا وفى مكان كذا فيجب أن يتحقق ما علمه ، لأن عـدم تحققه يؤدى الى محال وهـو وصفه تعالى بالجهل تنزه عز وجل عن ذلك ٠

فلو علم سبحانه وتعالى أزلا أنه سيخلق كذا ويكلف بكذا ففى هـذا الاطار يمكن القول بوجوب الخلق والتكليف ، لأن غير ذلك يؤدى الى محال وهـو انقلاب علمه سبحانه وتعالى جهلا ٠

يقـول الغزالى (فان الارادة اذا فرضت موجودة والعلم اذا فرض متعلقا بالشىء كان حصول المراد والمعلوم واجبا لا محال)(٢) ٠

ويذكر الغزالى أنهم يقولون يجب عليه الخلق والتكليف لفـائدة ترجع الى المخلوقين المكلفين لا لفائدة ترجع اليه سبحانه ٠

فلنا أن نقـول أن سبب خلق الخلق وعلة وجودهم انما كان لفائدة ترجع اليهم ، وليس فى هـذا ما يشعر بالوجوب على الله ٠

فاذا كان خلقهم واجبا لفائدة ترجع اليهم فمن أوجب عليه الخلق ؟ ومن أوجب عليه الفائدة ؟ وما هـو الوجوب المعنى ؟

والصحيح أن نقـول خلقهم لفائدة ترجع اليهم وكان خلقهم وعدم خلقهم فى دائرة الجـواز لا الوجـوب ٠

---

(٢) الاقتصـاد ص ١٤٨ ٠

يقـول الغزالى (الكلام فى قولكم لفائدة الخلق للتعليل ، والحكم المعلل هـو الوجوب ، ونحن نطالبكم بتفهيم الحكم — أى الوجوب — فلا يغنيكم ذكرا لعلة • فما معنى قـولكم أنه يجب لفائدة الخلق وما معنى الوجـوب)(٣) •

وقد عرفنا قبل ذلك أن الواجب ما يترتب على تركه ضرر ظاهر فى الدنيا أو الآخرة وهذ المعانى منعدمة فى حقه تعالى إذا فما معنى الوجوب الذى تقولون به.

ثم انكم اذا قلتم بأن الخلق والتكليف واجب عليه لمصلحة العبـاد فاننا نقـول (أنه سبحانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب فى حقه معنى)(٤) •

والخلق ربما يكون لهمفائدة فى خلقهم وتكليفهم (لكن ما فيه فائدة غيره لم يجب عليه اذا لم يكن له فائدة فى فائدة غيره)(٥) •

ويستقيم الكلام — الخلق فيه فائدة للخلق — إذ اخلقوا بعيدين عن المكدرات والبلايا متنعمين فى الجنات ، أما اذا كان حالهم غير ذلك ويتعرضـون للكثير من الآلام النفسية والجسمية وتطاردهم الأمراض والمصائب ويتهـددهم الموت فى دنياهم فلا معنى للفائدة (فالعقـلاء تمنوا العـدم وقال بعضهم ليتنى كنت نسيا منسيا ، وقال آخر ليتنى لم آك شيئا • وقال آخر يشير الى طائر ليتنى كنت ذلك الطائر)(٦) •

أما بالنسبة للتكليف فلا فائدة فيه اذ معناه تحمل ما فيه مشقة وعناء وآلم ، والفائدة تعنى نفى هـذه الأشياء لا ثبوتها •

---

(٣) الاقتصـاد ص ١٤٨ .
(٤) احيـاء علوم الدين جـ ١ ص ١١٧ .
(٥) الاقتصـاد ص ١٤٨ — ص ١٤٩ .
(٦) الاقتصـاد ص ١٤٩ .

وقولهم ان الثواب المترتب على التكليف هو الفائدة ، قول لا معنى له ، لأنه سبحانه وتعالى قادر على منحهم الثواب بدون تكليف ٠

(فان قيل ان الثواب اذا كان باستحقاق كان ألذ وأوقع من أن أن يكون بالامتنان والابتداء)(٧) نقول يمكن أن يكون هـذا صحيحا فى مجال التعاملات الدنيوية بين البشر ٠

أما بالنسبة لله سبحانه وتعالى فهـو يمتن على الانسان بايجـاده من العـدم ، وبمنحه خصائص الانسانية من عقـل وارادة وتكريم واحساس بالمسئولية ، وباقـداره على كل ما يريد وبتسخير الكون له ، وتسييده عليه ٠

والانسان اذ يشكر ربه فهـو يشكره بقـدرة ممنوحة من الله عز وجل ٠ واذا ليس هنـاك حـق مستحق للعباد على أى عمل ومن يجرؤ على القـول بذلك انما يمتهن نفسه ويتعالى على خالقـه وكأنه يقول لـه لا تمتن علي ، وانما أعطنى جزاء ما أعمل ٠ أو ما تعطينى فهـو حقى لأننى عملت ٠ ومن يقول بهـذا يشك فى عقيدته وعقله ٠

يقول الغزالى (ثم ليت شعرى الطاعة التى بها يستحق الثواب من أين وجـدها العبد وهـل لهـا سبب سوى وجـوده وقـدرته وارادته وصحة أعضائه وحضور أسبابه ، وهـل لكل ذلك مصـدر الا فضل الله ونعمته فنعوذ بالله من الانخلاع عن غريزة العقل)(٨) ٠

---

(٧) الاقتصـاد ص ١٤٩ ٠
(٨) الاقتصـاد ص ١٥٠ ٠

الدعـــوى الثانيـــة

التكليف بمــا لا يطــاق

يقــول الأشاعرة ان الله سبحانه وتعالى أن يكلف عباده بما يطاق وبمــا لا يطاق ، لأنه لا يجب عليه شيء ، ولا يقبح منه شيء ، وهــو يتصرف فى ملكه ومع عباده ، فله سبحانه أن يفعل ما يشــاء ويحكم بمــا يريد .

بينما يذهب المعتزلة الى القول بعــدم جواز التكليف بما لا يطاق ، لأن التكليف به أمر قبيح وهــو سبحانه وتعالى لا يفعل القبيح .

ويلزمنا فى البدء أن نحــدد معنى التكليف وأقسامه وأركانه ثم معرفــة مراتب ما لا يطــاق .

أما عن معنى التكليف فهو فى اللغــة مأخوذ من الكلفة أى التعب والمشقه ، يقال تكلفت الأمر الفلانى اذا فعلته على تعب ومشقة وكلفه . وكلفه تكليفا أى أمره بمــا يشق عليه ، وتكلفت الشيء تجشمته على مشـــقة(1) .

وفى الاصطلاح الزام الكلفة على المخاطب . وتوجــه الخطــاب بالأمر والنهى على المخاطب(2) .

---

(1) لسان العرب لابن منظــور ك ل ف واصـــول الدين للبغــدادى ص ٢٠٧ طبعة أولى اسطنبول ١٣٤٦ هـ .

(2) التعريفات للجرجانى ص ٦٥ واصول الدين ص ٢٠٧ .

ويشترط القاضى عبد الجبار شروطا فى حقيقة التكليف وهى :

١ ــ أن يكون اعلاما من الله لأنه لا يكلف على الحقيقة الا الله •

٢ ــ أن يكون هــذا الاعلام للغير فى أن يفعل كذا للنفع أو لا يفعل كذا لدفــع الضرر •

٣ ــ أن يلحق الغير مشقة لا تصــل به الى حــد الالجاء ــ أى الجبر ــ[3] ولهــذا يعرفه بقوله (هــو ارادة فعل ما على المكلف فيه كلفــة ومشقة • وهــو الأمر والارادة للشيء الذى منـــه كلفــه على المــأمور به)[4] •

وللتكليف أقسام وهى الأمر والنهى والخبر فالأمر كقوله تعالى (وأقيمو الصلاة وآتوا الزكاة)[5] والنهى كقوله تعالى (لا تفتروا على الله كــذبا)[6] • والخبر على ضربين أحــدهما ما كان فى معنى الأمر كقوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء)[7] •

والضرب الثانى للخبر ما كان فى معنى النهى كقــوله تعـــالى (لا يمسه الا المطهرون)[8] •••• ومنهم من قصر التكليف على الأمر والنهى[9] • وبذا يدخــل الخبر بقسميه فى اطار الأمر والنهى •

---

(٣) شرح الأصــول الخمسة ص ٥١٠ .

(٤) المغنى جزء ١١ ص ٢٩٤ . الدار المصرية للتاليف والترجمـــة طبعـــة اولى .

(٥) ســورة البقــرة آية ٤٣ .

(٦) ســورة طــه آية ٦١ .

(٧) ســورة البقــرة آية ٢٢٨ .

(٨) ســورة الواقعــة آية ٧٩ .

(٩) أصــول الدين ص ٢٠٨ .

وأركان التكليف ثلاثة : مكلف (بضم الميم وكسر ما قبل الآخر) اسم فاعل وهو الذى يأمر وينهى .

ومكلف (بضم الميم وفتح ما قبل الآخر) اسم مفعول وهو الذى يتلقى الأمر والنهى .

ومكلف به وهو التشريعات أى الأوامر والنواهى . والله سبحانه وتعالى هو المكلف ، والانسان هو المكلف ، والقول بافعل أو لا تفعل هو المكلف به .

ويشترط فى المكلف أن يكون متكلما وفى المكلف أن يكون فاهما للكلام وفى المكلف به أن يكون قابلا للفهم وليس بشرط أن يكون ممكنا .

ويوضح الغزالى رأى الأشاعرة بقوله ان التكليف له حقيقة فى نفسه وهو أنه كلام — مثل قولنا افعل كذا أو لا تفعل كذا — وله مصدر وهو المكلف — بكسر ما قبل الآخر — ولا شرط فيه الا كونه متكلما — وهو حاصل حيث يقول المتكلمون بأنه تعالى متصف بصفة الكلام .

وله مورد أى الذى يتجه اليه التكليف وهو المكلف — بفتح ما قبل الآخر — . وشرطه أن يكون فاهما للكلام — وبهذا يخرج الجماد والحيوانات الأعجمية والمجنون عن التكليف لأنهم لا يفهمون الكلام .

وللتكليف متعلق وهو المكلف به بفتح اللام مثل الأوامر والنواهى ولا شرط فيه الا أن يكون مفهوما (وأما كونه ممكنا فليس بشرط لتحقق الكلام) فان التكليف كلام)(١٠) .

---

(١٠) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٥١ .

وعلى هـذا فاذا صـدر الكلام ممن يفهم بفتح الياء الى من يفهم (بفتح الياء أيضا) بما يفهم (بضم الياء) وكان الأول أى الصادر عنه الكلام أعلا من الثانى أى الصادر اليه سمى تكليفا .

فالله سبحانه وتعالى حينما يأمر عبده أو ينهاه يسمى هذا تكليفا .

أما اذا كان الأول مثل الثانى فانه يسمى التماسا وذلك مثل طلب الأستاذ من زميله المساوى لـه أن يفعل كذا .

واذا كان أحـدهما فـوق الآخر بدرجـة سمى الكلام دعـاء أو سـؤالا (فالاقتضـاء ـ أى الطلب ـ فى ذاته واحـد وهـذه الأسامى تختلف عليه باختلاف النسبة)[11] .

*** مراتب ما لا يطـاق :**

ولما لا يطاق مراتب ثلاث :

الأولى أدناها وهى المحال لغيره كأن يمتنع الفعل لتعلق علم الله بعـدم وقوعه أو ارادة عـدم الوقوع أواخباره بذلك مـع امكان الفعـل فى نفسه .

والتكليف بهـذا النوع جائز عند الأشاعرة والمعتزلة لأنه اذا لم يكن جائزا لما كان العاصى بكفره وفسقه مكلفا بالايمان .

بل هـو واقع بالاجماع فقـد علم الله سبحانه وتعـالى وأراد وأخبر أن أبا لهب لن يؤمن ومع ذلك كلفه بالايمان ، فأبو لهب اذن مكلف بمـا لا يطـاق .

المرتبة الثانية المحال فى العادة وهى أن الفعل يمتنع عادة لـكون

(11) الاقتصـاد فى الاعتقـاد ص ١٥١ .

القــدرة الحادثة لا تتعلق به فى العادة كخلق الأجسام ، أو تتعلق به الا أن العادة تقضى بمنعه كحمل الجبال والمشى بلا أى معين على المــاء •

المرتبة الثالثة المحال لذاته أو الممتنع لنفس مفهومه كقلب الحقائق والجمــع بين الضــدين(١٢) •

والتكليف بالمحال فى العادة والمحال لذاته هــو محل النزاع بين الأشــاعرة والمعــتزلة •

فالأشاعرة يقولون بجــواز التكليف بهما لأنه سبحانه يتصرف فى ملكه وهــو يفعل ما يشاء ولا يقبح منه شىء •

وقــد سئل الجــوينى عن ذلك فقال (تكليف ما لا يطاق تكثر صوره فمــن صوره تكليف جمع الضدين ــ أى المحــال لذاته ــ وايقاع ما يخرج عن قبيل المقــدورات ــ أى المحال فى العادة ــ والصحيح عندنا أن ذلك جائز غير مستحيل(١٣) •

بل ذهب لأكثر من ذلك حيث قال بوقوعه شرعا (فان الله تعــالى أمر أبا لهب بأن يصــدق النبى ويؤمن به فى جميع ما يخبر به وممــا أخبر به أنه لا يؤمن به • فقــد أمره أن يصــدقه بأنه لا يصــدقه وذلك جمــع نقيضين)(١٤) •

أما المعتزلة فانهم لا يجــوزون التكليف بالمحال لذاته والمحــال عادة لأن التكليف بهما قبيح ومن كلف بهما يعــد سفيها ، ولأن التكليف بهما يتنافى مــع كونه حكيما •

---

(١٢) شرح المواقف جزء ٣ ص ٢٦١ وشرح المقاصد جزء ٢ ص ١١٤ •
(١٣) الارشاد للجــوينى ص ٢٢٦ •
(١٤) الارشاد للجــوينى ص ٢٢٨ •

أدلة الأشاعرة على جواز التكليف بما لا يطاق ٠

أولا : اذا لم يكن التكليف بمـــا لا يطـــاق جائزا لاستحال طلب دفعه ، لكن التالى باطـــل وذلك لأن الناس يقولون فى دعائهم كما يحكى القرآن الكريم (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقـــة لنا به)(١٥) فلولا لم يكن جائزا كان لا معنى للدعاء والاستعاذة من تحمل ما لا يطاق ٠

واذا بطل التالى بطل ما أدى اليه وهـــو كون التكليف بما لا يطاق غير جائز وثبت أنه جائز ٠

وفى صـــورة أخرى على جـــواز التكليف بمـــا لا يطـــاق يقـــول الباقلانى أنه سبحانه وتعالى أخبر عن أولئـــك الذين يحسنون الثنـــاء عليه ويمدحونه (أنهم يدعـــونه ألا يحملهم ما لا طاقـــة لهم به فلـــو كان التكليف بمـــا لا يطاق ظلمـــا وعبثا وقبيحا من الله لكانوا قـــد رغبـــوا اليه ألا يظلمهم ولا يسفه عليهم ولا يوجب من الأوامر ما يخرج به عن حـــد الحكمة والله سبحانه أجـــل من أن يثنى على قـــوم أجازوا ذلك عليـــه)(١٦) ٠

فالمؤمنون يحمدونه سبحانه ويشكرونه على عظيم نعمه ويدعونه ألا يكلفهم ما لا طاقـــة لهم به ٠ والله سبحانه يثنى عليهم ، فلـــو كان التكليف بمـــا لا يطاق غير جائز وكان ظلمـــا وعبثا وقبيحا كما يقـــول المعتزلة لكان المؤمنون يقـــولون لا تظلمنا ولا تسفه علينا ولا توجب من الأوامر ما يخرج بك عن حـــد الحكمة ٠

والله سبحانه وتعالى منزه عن أن يثنى على قـــوم يقولون ذلك فى حقـــه ٠

---

(١٥) ســـورة البقـــرة الآية ٢٨٦ ٠
(١٦) التمهيـــد للباقـــلانى ص ٣٣٢ ٠

ثانيا : أخبر الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام أن أبا جهل لن يصدقه ، ثم أمره بأن يأمره بأن يصدقه فى جميع أقواله ، ومن جملة أقواله أنه لا يصدقه ، فكيف يصدقه فى أنه لا يصدقه ، وهل هذا الا محال وجوده[17] .

وهذا الدليل يذكره الفخر الرازى بصورة ثانية مضمونها أنه تعالى كلف أبا لهب أن يؤمن لأنه واحد من العقلاء والعقلاء كلهم مكلفون ، والايمان يعنى تصديق الله فى كل ما يخبر به ، ومما أخبر به أن أبا لهب لن يؤمن فقد صار أبو لهب مكلفا بأن يؤمن بأنه لا يؤمن وذلك تكليف بما لا يطاق[18] .

وبصورة ثالثة أنه سبحانه وتعالى كلف الذين أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون أبدا بالايمان . يقول سبحانه وتعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون)[19] ، والايمان هو تصديق الله سبحانه وتعالى فى كل ما أخبر عنه ومما أخبر به أن هؤلاء لا يؤمنون ، وبهذا يكون هؤلاء مكلفين بأن يؤمنوا وبأنهم لا يؤمنون قط وهذا تكليف بالجمع بين المتناقضين وهو تكليف بما لا يطاق[20] .

ثالثا : يقدم الغزالى دليلا آخر على جواز التكليف بما لا يطاق من خلال ابطال القول بالاستحالة ، فان الاستحالة اما أن تكون لامتناع تصور ما لا يطاق أو لأجل الاستقباح .

وتصور ما لا يطاق ممكن وليس بممتنع ، ولا يقبح من الله سبحانه وتعالى شىء ، لأنه يتصرف فى ملكه وهو منزه عن الأغراض .

---

(١٧) الاحياء للغزالى جزء ١ ص ١١٧ وراجع الاقتصاد فى الاعتقاد .
(١٨) تفسير الفخر الرازى جزء ٧ ص ١٥١ دار الفكر ١٩٨١ .
(١٩) سورة البقرة آية ٦ .
(٢٠) المطالب العالية للفخر الرازى جزء ٣ ص ٣٠٦ دار الكتاب العربى بيروت ١٩٨٧ .

وتكليفة لعبادة لا يماثل تكليف الانسان عبده بأعمال ترتبط بغرضه ، وما لا غرض فيه ولا يحتاج اليه لا يكلفه به • وانما تكليفه سبحانه وتعالى يماثل تكليف الطبيب للمريض بشرب دواء معين والنفع والضرر راجع للمريض ، والأمران سيان عند الطبيب لاستغنائه عن كليهما[21] •

يقول الغزالى (وبرهان جواز ذلك ــ أى التكليف بما لا يطاق ــ أن استحالته لا تخلو اما أن تكون لامتناع تصور ذاته كاجتماع السواد والبياض أو كان لأجل الاستقباح •

وباطل أن يكون امتناعه لذاته ، فان السواد والبياض لا يمكن أن يفرضا مجتمعين ، وفرض هذا ممكن • اذ التكليف لا يخلو اما أن يكون لفظا وهو مذهب الخصم ــ أى المعتزلة ــ وليس بمستحيل أن يقول الرجل لعبده الزمن ــ المقعد ــ قم فهو على مذهبهم أظهر • وأما نحن فاننا نعتقد أنه ــ أى التكليف ــ اقتضاء ــ أى طلب ــ يقوم بالنفس ، وكما يصور أن يقوم اقتضاء القيام بالنفس من قادر فيتصور ذلك من عاجز ••• وباطل أن يقال بطلان ذلك من جهة الاستقباح ، فان كلامنا فى حق الله تعالى وذلك باطل فى حقه ، لتنزهه عن الأغراض ورجوع ذلك ــ أى الاستحسان والاستقباح الى الأغراض)[22] •

*** دليل المعتزلة ومناقشته :**

ويذكر الغزالى دليلا للمعتزلة على استحالة التكليف بما لا يطاق مضمونه ما يلى :

---

(21) المضنون به على غير أهله للغزالى ص ٦٢ دار الحكمة دمشق ١٤٠٧ •

(22) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٥٢ •

١ — ان التكليف بما لا يطاق يتعذر على الانسان تنفيذه وبالتالى لا يثاب عليه هو اذا مما لا فائدة فيه وهذه دعوى أولى ٠

٢ — وفعل ما لا فائدة فيه عبث ، فان الانسان منا اذا تحمل الأخطار والأهوال من أجل أن يضيف درهما الى الدراهم التى معه ، وكان فى قدرته أن يضيف دراهم كثيرة بدون هذا العناء فان فعله لا فائدة فيه ، وما لا فائدة فيه فهو عبث وهذه دعوى ثانية ومثال آخر اذا استأجر أحدنا رجلا بمبلغ كبير لينقل الماء من نهر الى نهر من دون أن يكون له فى ذلك غرض ففعله عبث(٢٣) ٠

٣ — والعبث على الله سبحانه وتعالى محال ٠ اذا التكليف بما لا يطاق محال وهذه دعوى ثالثة ٠

ويرد على دعواهم الأولى بأن الكلام (مبنى على أن المأمور به يجب أن يكون مرادا للآمر ، وليس الأمر كذلك عندنا ، فان الرب تعالى يأمر الكافر بالايمان ولا يريد منه وقوع الايمان)(٢٤) ٠

ثم اننا لا نسلم أن التكليف بما لايطاق لا فائدة فيه ، فلعل فيه فائدة للعباد يعلمها الله سبحانه وليست هى الامتثال والثواب عليه (بل ربما يكون فى اظهار الأمر وما يتبعه من اعتقاد التكليف فائدة)(٢٥) ٠

فقد ينسخ الأمر قبل التنفيذ ، فقد أمر الله سيدنا ابراهيم عليه السلام بذبح ولده ، ولم يكن ذلك مرادا لله ، فلما انقاد واستسلم لأمر ربه واعتقد أنه مكلف بذلك وهم بالتنفيذ، فدى الله سبحانه

---

(٢٣) شرح الأصول الخمسة ص ٥١٤ ٠
(٢٤) الارشاد للجوينى ص ٥٢٧ ٠
(٢٥) الاقتصاد ص ١٥٢ ٠

اسماعيل ولد ابراهيم بذبح عظيم ، وكان جزاؤه الجزاء العظيم يقول سبحانه (فلما أسلما وتله للجبين • وناديناه أن يا ابراهيم • قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين • ان هذا لهو البلاء المبين • وفديناه بذبح عظيم)[٢٦] •

أما الدعوى الثانية أن ما لا فائدة فيه فهو عبث • فقد وضح أن فى التكليف بما لا يطاق فائدة ، تترتب على اظهار الأمر واعتقاد التكليف ، فدعوا هم اذا لا معنى لها •

والدعوى الثالثة • أن العبث على الله تعالى محال • دعوى باطلة ومردودة ، لانه سبحانه وتعالى لا يتعرض للفوائد ، وهو منزه عن الأغراض • والعبث هو فعل ما لا فائدة فيه ممن يتعرض للفوائد ويجوز فى حقه الأغراض • كالانسان مثلا فهو حينما يفعل شيئا لا فائدة فيه ولا غرض يسمى عابثا ، ويسمى فعله عبثا •

أما الذى لا يتعرض للفوائد والأغراض فتسميته عابثا مجاز لا حقيقة له •

فحينما نقول الريح عابثة ، لأنها تحرك ورق الأشجار • فوصفها بذلك من باب المجاز وليس من باب الحقيقة ، اذ انها لا تتعرض للفوائد وليس لها غرض فى التحريك •

وحينما نقول الجدار غافل أى خال عن العلم والجهل ، فهذا القول باطل ، لأن الجدار أصلا غير قابل للاتصاف بالعلم والجهل لخلوه من العقل • فاطلاق الغفلة عليه من باب المجاز وليس من باب الحقيقة •

(وكذلك اطلاق اسم العابث على الله تعالى ، واطلاق العبث على افعاله سبحانه وتعالى)[٢٧] لأنه سبحانه لا يتعرض للفوائد وهو منزه عن الأغراض • فلا عبث فى فعله عز وجل •

---

(٢٦) سورة الصفات الآيات من ١٠٤ — ١٠٧ •

(٢٧) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٥٣ •

الدعـــوى الثالثـــة

ايلام الله تعالى للأطفال والمجانين والحيوانات

من الجائز فى حقـــه سبحانه وتعالى تعـــذيب الأطفال فى الدنيـــا وكذا المجانين بابتلائهم بالأمراض ، وتعريضهم للاخطار وغير ذلك ممـــا يصيبهم بالألم أو يلحق الضرر بهم دون ارتكابهم لأى ذنب . كذا يجوز أن يلحق الألم بالحيوانات الأعجمية ، ولا يلزمه سبحانه وتعالى اثابة الصنف الأول ، ولا تعويض الصنف الثانى فى الآخرة .

يقول البغـــدادى (قال أصحابنا ان الآلام التى لحقت البهـــائم والأطفال والمجانين عـــدل من الله تعالى وليس واجبا تعويضها على ما نالها فى الدنيا من الآلام ، فان أنعم الله عليها فى الآخرة نعمـــا كانت فضـــلا منـــه)(١) .

أما المعتزلة فيقولون ان ذلك قبيح ، واذا وقـــع يجب عليه أن يحشرهم فى الآخرة ويعوضهم عمـــا لحق بهم فى الدنيـــا والتعـــويض واجب عليه . وقد حسن مذه تعالى الايلام للعوض المضمون فى الآخرة .

ولو لم يعـــوضـــهم عن الآلام التى ألحـــقـــها بـــهم فى الدنيـــا لكان ظالمًا(٢).

الدليل على صـــحة راى الأشاعرة

ان ايلام الأطفال والمجانين والحيوانات البريئة من الجنـــاية من

---

(١) أصـــول الدين ص ٢٤٠ .

(٢) مقـــالات الأســـلاميين جزء ١ ص ٢٩٢ .

الأمور الممكنة عقلاً، وكل ممكن فهو مقدور لله سبحانه وتعالى وهو عز وجل يتصرف فى ملكه وبمخلوقاته ، وعلى هذا فان ايلام الأطفال والمجانين والحيوانات البريئة من الأمور الجائزة عقلا والواقعة فعلا .

وشاهد الحس يؤكد ذلك حيث نرى أطفالا كثيرين قد أصيبوا بأمراض تسبب لهم الآلام الشديدة ولا ذنب لهم ، ونرى حيوانات تتعرض للكثير من الآلام ولا ذنب لها . واذا كان المخالفون يقولون بأنه يجب على الله سبحانه وتعالى أن يحشر هذه المخلوقات فى الآخرة ويثيب بعد ذلك الأطفال والمجانين ويعوض الحيوانات الأعجمية . فان الغزالى يرجع فى الرد على هؤلاء الى معنى الواجب .

ولقد سبق أن عرفنا أن للواجب معانى ثلاثة :

١ — ما كان فى تركه ضرر محقق فى الدنيا .

٢ — ما كان فى تركه ضرر محقق فى الآخرة .

٣ — هو الذى يؤدى عدم وقوعه الى محال .

والمعنيان الأولان يستحيلان فى حقه سبحانه وتعالى حيث أنه عز وجل يتصرف فى ملكه .

والمعنى الثالث مستحيل أيضا ، لأننا والخصم لا نعلم هل تعلق علمه تعالى بوقوع الحشر والثواب لهذه المخلوقات أم لا ، بحيث يؤدى عدم وقوعه الى حدوث خلاف ما علم ، وليس هناك من معنى رابع للواجب .

اعتراضان :

ويذكر الغزالى اعتراضين للخصوم على القول بجواز ايلام الله للأطفال وغيرهم فى الدنيا دون الاثابة أو العوض فى الآخرة .

الأول : أن ترك الاثابة والعوض يناقض كونه حكيما •

الثانى : أن ترك الاثابة والعوض يؤدى الى كونه ظالما ، وقد قال سبحانه (ولا يظلم ربك أحدا)[٣] وقال سبحانه (وان الله ليس بظلام للعبيد)[٤] •

الرد على الاعتراضين :

ويرد على الاعتراض الأول بايضاح أن الحكمة تعنى العلم بنظام الأمور ، والقدرة على ترتيبها ، وكونه حكيما أى أنه يعلم بنظام كل شىء ويقدر على ترتيبه •

فاذا ترك سبحانه اثابة من آلمه فى الدنيا فليس فى هذا أى مناقضة لكونه حكيما ولا يلتفت لغير ذلك من المعانى •

وعن الاعتراض الثانى يقول (ان الظلم منفى عنه بطريق السلب المحض كما تسلب الغفلة عن الجدار والعبث عن الريح)[٥] •

والظالم يتصور اذا تصرف الانسان فى ملك غيره بغير اذنه والله سبحانه يتصرف فى ملكه فلا يكون ظالما ولا يصادف لغيره ملكا حتى يكون فى تصرفه أى ظلم[٦] •

ويتصور الظلم فى أن يكون على الانسان أمر صادر عليه من غيره فيخالف فعله هذا الأمر ، والله عز وجل هو الآمر وليس بواقع تحت أمر غيره فكيف يكون ظالما •

---

(٣) سورة الكهف آية ٤٩ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٨٢ .
(٥) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٥٤ .
(٦) الاحياء جزء ١ ص ١١٧ .

فان تصرف الانسان فى ملك نفسه فليس بظالم الا اذا خالف أمر الشرع فهو ظالم لهـذه المخالفة والله هـو المشرع الأعلى فلا مخالفة البتـــة •

ويختم الغزالى هـذه الدعوى بقـوله (فان فسر الظلم بمعنى سوى ذلك فهو غير مفهوم فلا يتكلم فيه بنفى ولا اثبات)(٧) •

رأى المعتزلة ومناقشته :

ولـما كان المعتزلة يقـولون بالتحسين والتقبيح العقليين ، فقـد نظروا فى هذه الدعـوى بعـقـولهم، وذهبـوا إلى القـول بأن تعـذيب الأطفال والمجانين فى الدنيا دون الثواب فى الآخرة أمر يحكم العقـل بقبحه ومحال أن يفعل الله أمرا قبيحا •

ويقولون ان الألم انمـا يحسن اذا ترتب عليه نفع ، أو دفـع ضرر أكبر ومتى خرج عن هـذه الوجوه لم يحسن بل يكون قبيحا •

ولتقريب هـذا المعنى فاننا نرى العاقل فى الشاهد يستحسن تحمل المشاق والألم فى سفره للتجارة من أجل الربح الوفير الذى يتحقق له •

والمريض يستحسن استئصال جزء ميت من جسمة من أجل الحفاظ على بقية الأجزاء سليمة حية •

ويستحسن الإنسان ذم الغير، إذا كان هذا الغير قد أساء إليه ولا وجه لحسنه إلا الاستحقاق(٨).

يقـول القـاضى عبد الجبـار حينما ســئل : هـل يعـذب الله

---

(٧) الاقتصـــاد ص ١٥٥ •

(٨) شرح الأصـول الخمسة ص ٥٨١ •

الأطفال ؟ ان (الله تعالى لا يعـذب الا من يستحق العذاب بتقصيره ..... بأن يفعل ما نهى عنه ، أو بألا يفعل الواجب الذى يقـدر عليـه ولا عـذر له فى ألا يفعل . فأما من لا عقل له ألبته أو لم يتوجه اليه خطاب كالأطفال والبهائم لو عـذبهم لكان ظالمـا)(٩) .

ويرد عليهم برفض القول بالتحسين والتقبيح العقليين ، وانمـا الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع ، والله سبحانه وتعالى **يتصرف فى ملكه إن أثاب فبمحض الفضل، وأن منع فبمحض العدل.**

وما يذكرونه من القـول بحسن الآلام اذا كانت لنفع أو دفـع ضرر أو استحقاق . وقبحها اذا كانت على غير ذلك . هـذا فى الشاهد ، ولا يصح قياس الغائب على الشاهد لأن الغائب لا سـلطان عليه من أحـد ، وهـو اذ يفعل فانمـا يفعل وفقا لارادته وهو الذى يحسن ويقبـح .

ثم ان الظالم هـو الذى يتصرف فى غير ملكه أو يخالف أمر غيره ولا يتصور ذلك فى الله سبحانه وتعالى .

ويتصل بهـذه المسألة كلام للتناسخية والبكرية نوضحه بايجاز يقول الغزالى (وذهب ذاهبون الى أن أرواحهما تعـود بالتناسخ الى أبدان أخر وهـذا مذهب لا يخفى فساده)(١٠) .

وأصحاب هـذا الاتجاه هم التناسخية وهم يقولون : ان الأطفال والبهائم الذين تلحقهم الآلام فى الدنيا ، انما كان ذلك لأنهم كانوا قبل

---

(٩) المختصر فى أصـول الدين للقاضى عبد الجبار ص ٢٥١ دار الشروق ١٩٨٧ .

(١٠) الاقتصـــاد ص ١٥٤ .

ذلك فى قالب آخر فعصوا الله سبحانه ، فما يلحقهم من آلام انما كان بسبب فعلهم فى القالب الآخر ٠

وفى صورة ثانية يقولون ان الأرواح تعود بالتناسخ الى أجسام أخرى فى الدنيا لتنال اللذة جزاء على ما لقيته من تعب أو ألم وهى فى جسم آخر والثواب والعقاب عندهم فى هذه الدار ، والأعمال التى نحن فيها كما يقولون هى أجزية على أعمال سبقت منا فى أدوار ماضية(١١) ٠

والروح تنتقل من جسد الى جسد لتتلقى الثواب والعقاب فى الدنيا وهكذا تتعاقب الأدوار الى ما لا نهاية ٠

الرد عليهم :

وقولهم هذا كفر صريح لأنه انكار للبعث الأخروى ٠ والايمان به جزء لا يتجزأ من العقيدة الايمانية لقول الرسول صلى الله عليه وسلم حينما سأله جبريل ما الايمان قال (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره)(١٢) ومنكر أى ركن من الأركان يعد كافرا ٠

أما البكرية(١٣) فقد نفت احساس الأطفال والبهائم بالآلام ٠

---

(١١) الملل والنحل للشهرستانى جزء ٢ ص ١١٣ ٠

(١٢) رواه مسلم فى صحيحه عن عمر بن الخطاب فى كتاب الايمان حـ ١ ص ١٥٧ وذكره البخارى عن ابى هريرة ٠

(١٣) البكرية : هم أصحاب بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد وقيل ان اسمه بكر بن زياد الباهلى وقيل عنه أنه دجال واضع للحديث وقد اخذ عن عبد الواحد بن زيد القول بأن الأطفال الذين فى المهد لا يتألمون ولو قطعوا أربا ويجوز ان يشعرهم الله باللذة عندما يضربون ويقطعون — مقالات الاسلاميين للأشعرى حـ ١ ص ٣٤٢ — ٣٤٣ ٠

وهـذا النفى جحـد للضرورة فاننا نرى بالبداهـة تألم الأطفال وفزعهم وصراخهم حينما يلحقهم أى ضرر ٠

كما نرى الحيوانات تضج من الألم وتتحرك حركات عشوائية وتقفز وتحاول الهروب أو الاختباء ، وما ذلك الا بسبب احساسها الشـديد بمـا يقع عليها من الآلام (ولو ساغ جحـد ذلك منها لساغ جحـد حياتها والمصير الى أنها جمادات لا تحس ولا تألم ولا تدرك)[١٤] ٠

---

(١٤) الارشـــاد ص ٢٧٩ ٠

الدعـوة الرابعة : الصـلاح والأصلح

هـل يجب على الله سبحانه وتعالى رعاية الأصلح فى الدين والدنيا لعبـــاده ؟

يقـول الأشاعرة لا يجب عليه سبحانه أى شىء ، بل كل أفعاله جائزة ، لأن القول بوجوب شىء عليه يشعر بالجبر وهـو نقص والنقص عليه محال ، وهـو سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم بمـا يريد لا سلطان لأحـد عليـه .

أما معتزلة بغـداد فان الأصلح عندهم بمعنى الأوفق فى الحكمة والتدبير لا بمعنى الا نفع والقول بوجوب الأصلح بمعنى الأوفق للحكم والمصالح لا بمعنى الأنفع للعبد فيجوز لـه سبحانه وتعالى ترك الأنفع للعبـد مراعـاة للحكم(١) .

ويقول بشر بن المعتمر من معتزلة بغـداد بأنه لا يجوز على الله أن يفعل المفسده بعباده بل يجب عليه أن يفعل ما هـو المصلحة ، ولكن لا يجب عليه الأصلح اذ ليس فى مقدور الله سبحانه من المصلحة واللطف غايه . لأن القـول بوجـوب الأصلح قـول بتناهى مقـدورات الله تعالى وذلك محـال(٢) . ويقول معتزلة البصره بأن الصلاح هـو النفع والأصـلح هـو الأنفـع .

ويحـدد جمهورهم الأنفـع الواجب على الله تعالى فعله للعبد ، بخلقه وابقائه سليم الحواس ، وتعريضه لأعلى المنزلتين . (فالمسلم المكلف فعل به الواجب عليه والكافر كذلك — اذ خلقهما وأبقاهما مـع

(١) تبصرة الأدلـة ص ٧٧٤ .
(٢) نفس المرجـع والصـفحة .

سلامة الحواس وعرضهما لأعلى المنزلتين ـ وأما كفر الكافر فمن نفسه ، وعمله بقـدرته بناء على مذهبهم من أن العبد يخلق أفعال نفسه)([٣]) ٠

أما الجبائى من معتزلة البصرة فيذهب الى القـول بأنه يجب على الله سبحانه وتعالى فعل الأصلح لعبده فى الدين بمعنى الأنفع مطلقا ٠

أدلة الأشاعرة على عـدم وجوب الأصلح على الله تعالى

وللأشاعرة أدلة من النقـل ومن الوجـود المشاهد ومن اجماع أهـل الأديان ٠ وقبل ذكر الأدلة نستمع للغزالى فى قوله (ويدل على بطلان ذلك ما دل على نفى الوجـوب على الله تعالى كما سبق)([٤]) حيث بين أن الواجب ما ترتب على تركه ضرر فى العاجـل أو الأجـل أو هـو الذى يؤدى عـدم وقوعه الى محال ٠

وقـد تبين أن المعانى الثلاثة منتفية فى حقه تعالى ٠

أولا ـ الأدلة من النقـل :

يقول سبحانه وتعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هـداها)([٥]) ٠

ويقول عز وجـل (فلو شاء لهـداكم أجمعين)([٦]) ٠

ويقول عز وجـل (ولـو شـاء ربـك لآمن من فى الأرض كلهم جميعـا)([٧]) ٠

ففى مقـدور الله سبحانه وتعالى هـداية كل الأنفس ، لكنه لم

---

(٣) مذكرات فى التوحيد ص ٣٥ الشيخ صالح شرف ٠
(٤) الاقتصـاد فى الاعتقـاد ص ١٥٦ ٠
(٥) السـجدة الآية ١٣ ٠
(٦) الأنعـام الآية ١٤٩ ٠
(٧) يونس الآية ٩٩ ٠

يشأ ذلك حتى لا يكون الانسان مجبورا ، وحتى يتم الاختبار والابتلاء وتصح المسئولية وبذا يصح الثواب والعقاب •

ثانيا ــ أدلة مشاهده فى الوجــود :

أفعال العباد مخلوقة لله وفيها الكفر والمعاصى والأمراض ، والعباد يتضررون بها فليس فى ايجادها مصلحة لهم ولاصلاح وأصلح •

وهــو سبحانه يبقى الانسان الى وقت البلوغ ويزوده بالعقل ، ويرسل له الرسل ، ويأمره بالايمان ولا يريده له ، وهــذا فيه مضرة واضحة وليس فيه أى نفع أو صلاح • مع قــدرته سبحانه على اماتته قبل البلوغ وهــذا هــو الأصلح له ، لكنه لم يفعل وهــذا يدل على بطلان القول بالصلاح والأصلح • والانسان يكبر ويؤمن ويعيش مدة طــويلة على الاسلام وعلى الالتزام الكامل بتعاليمه ثم يرتد فى آخر ســاعة من عمــره •

وكان الأصلح له أن يميته الله قبــل هــذه الساعة التى كفر فيهــا واستحق العــذاب فلما لم يفعل سبحانه وتعالى الا ما فعل دل أن الصلاح والأصلح ليس بواجب عليه • ولعل أوضح صورة تؤكد هــذا قصة الاخوة الثلاثة التى ينقلها الغزالى من أبى الحسن الأشعرى •

انا نفرض ثلاثة أطفال مات أحــدهم وهــو مسلم فى الصبا ، وبلغ الآخر وأسلم ومات مسلما ، وبلغ الثالث كافرا ومات على الكفر •

فان العــدل عندهم أن يخلد الكافر البالغ فى النار ، وأن يكون للبالغ المسلم فى الجنة مرتبة فوق رتبة الصبى المسلم •

فاذا قال الصبى المسلم يارب لم حططت رتبتى عن رتبته ؟

فيقول لأنه بلغ فأطاعنى ، وأنت لم تطعن بالعبادات بعد البلوغ •

فيقول يارب لأنك أمتنى قبل البلوغ ، فكان صلاحى فى أن تمدنى بالحياة حتى أبلغ فأطيع فأنال رتبتـه فلم حرمتنى هـذه الرتبـة أبد الابدين •••• فلا يكون لـه جواب الا أن يقول : علمتانك لو بلغت لعصيت وتعرضت لعقابى ، فرأيت هـذه الرتبة النازلة أولى بك وأصلح من العقـوبة •

فينادى الكافر البالغ من الهاوية ويقول يارب أو ما علمت انى اذا بلغت كفرت ؟ فلو امتنى فى الصبا ، وأنزلتنى فى تلك المنزلة النازلة ، لكان أحب الى من تخليدى فى النـار وأصلح لى • فلم احييتنى وكان الموت خيرا لى • فلا يبقى لـه جواب البتة •

ومعلوم أن هـذه الأقسام الثلاثة موجوده ، وبه يظهر على القطع أن الأصلح للعباد كلهم ليس بواجب)(٨) •

والتى تؤكد أن أعمال الله سبحانه لا يجب أن توزن بموازين البشر وبخاصة المعتزلة اذ من الظلم أن يقال لـماذا فعل كذا ؟ ولم يفعل كذا ؟

ثالثا — دليـل الاجمـاع :

ويجمع المسلمون والنصارى واليهود على ضرورة التوجه الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء ، وطلب المعـونة على النصر والطاعة والهداية ، ومنح القـدرة على الابتعاد عن المعاصى •

والأمر لا يخلو اما أن يكون ما يسألونه أعطاهم الله أياه أو لم يعطهم •

فان كان أعطاهم فسؤالهم أو دعاؤهم عبث لا معنى له •

ومن المتعـذر اجتماع أهـل الأديان قاطبة على العبث •

---

(٨) الاقتصـاد ص ١٥٦ •

وان كان لم يعطهم فالأمر لا يخلو اما أن لا يجوز له ألا يعطيهم أو يجـــوز ٠

فان كان لا يجوز له الا يعطيهم (بل يجب عليه ذلك على وجه كان بمنعه ظالمـــا مانعا حقا مستحقا وكان السؤال كأنهم قالـــوا اللهم لا تظلمنا بمنع حقنا المستحق عليك ٠٠٠٠ ومن ظن أن أهـــل الدين الحق والأنبياء والمرسلين استجازوا من أنفسهم أن يشتغلوا بمثل هـــذا الكلام مناجين به ربهم فقـــد كفر من ساعته)(٩) ٠

وان كان يجوز له ألا يعطيهم فقـــد بطل مذهب المعتزلة بوجوب الأصلح وهـــو المطلوب ٠

أدلة أخرى للأشاعرة :

ومن الأدلة أيضا والتى تعتبر ردا على الجبائى خاصة لقـــوله بوجوب فعل الأصلح على الله للعبد بمعنى الأنفع فى الدين ٠

نقـــول : لو كان الأصلح للعبد واجبا على الله سبحانه وتعالى لمـــا خلق الكافر ، لان الأنفع له الايمان أو عـــدم خلقه حتى لا يتـــأذى بالكفر ٠ لكن التالى وهـــو عـــدم خلقـــه باطـــل بدليل المشاهدة ، فما أدى اليه من كون الأصلح واجبا على الله باطلا ٠ ومـــع بطلانه يثبت النقيض وهو عـــدم وجوب الأصلح على الله تعالى ٠

ويقال فى الرد على جمهور البصريين القائلين بوجوب الأصـــلح للعبد على الله سبحانه بمعنى خلق العبـــد وابقـــائه سليم الحـــواس وتعريضـــه لأعلى المنزلتين ٠

---

(٩) تبصرة الأدلـــة ص ٧٨٣ ٠

لو كان الأصلح للعبد واجبا على الله سبحانه لما أمات الطفل أو أصاب العاقل البالغ بالجنون • لكن التالى باطل بدليل المشاهدة حيث نرى أطفالا يموتون وعقلاء يصابون بالجنون وليس هذا بالقطع بالأنفع لهم • واذا بطل التالى بطل ما أدى اليه وهو القول بوجوب الأصلح وثبت عدم الوجوب(١٠) •

دليل للمعتزلة والرد عليه :

يقولون لو جاز لله سبحانه وتعالى أن يترك فعل الأصلح لعباده لجاز عليه سبحانه العجز أو الجهل أو البخل أو السفه أو العبث • لكن التالى باطل ، واذا بطل التالى بطل ما أدى اليه وهو القول بجواز ترك الأصلح ، وثبت نقيضه وهو القول بالوجوب •

ويرد عليهم بمنع الملازمة بين التالى والمقدم اذ القول بترتب أحدهما على الآخر تحكم لا معنى له وقد يصح ترتب أحدهما على الآخر فى الشاهد أما فى الغائب فانه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويتصرف فى ملكه فان أعطى فتفضلا منه ، وان منع فبمحض العدل وكل أفعاله صادرة عن قدرة وعلم وكرم وحكمة •

اعتراض والرد عليه :

ويقولون اذا قدر سبحانه وتعالى على رعاية الأصلح ثم تركه وسلط عليهم ما ليس بأصلح فان هذا يكون قبيحا لا يليق بحكمته عز وجل •• ويرد عليهم بأن القبح فعل ما لا يوافق الغرض ، وهو سبحانه وتعالى منزه عن الأغراض ، فلا يقال فى حقه هذا وافق

---

(١٠) مذكرات ص ٣٦ •

غرضه ، وهــذا لم يوافق غرضه فلا يتصــور منه قبيح (وان أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال ٠٠٠٠ ثم ان الحكيم معناه العالم بحقائق الأشياء القادر على احكام فعلها على وفق ارادته وهــذا من أين يوجب رعاية الأصلح)(١١) ٠

---

(١١) الأحبــاء جــزء ١ ص ١١٨ ٠

الدعـــوى الخامسة

الثواب والعقاب

هـــل يجب على الله سبحانه وتعالى أن يثيب المطيع وأن يعاقب العـــــاصى ؟

بدءا نقول ان الثواب هـــو ايصال النفع الى المكلف وان العقاب هو ايصال الألم اليه ويرتبط بتعريف الثواب والعقاب الوعد والوعيد .

والوعـد (كل خبر يتضمن ايصال نفـــع الى الغير ودفـــع ضرر عنه فى المستقبل .... أما الوعيد فهو كل خبر يتضمن ايصال ضرر الى الغير أو تفويت نفـــع عنه فى المستقبل)(١) .

وقـــد سئل القاضى عبد الجبار عن صفة الثواب والعقاب فقال : (الثواب لذات وسرور يقعان على جهة التعظيم والتبجيل ... أما العقاب فهو الألم الخالص عن كل لذة وسرور ... يفعله الله على جهة الاهانة والاستخفاف بالمستحق لـــه)(٢) .

ولمـــا كان الأشاعرة لا يقـــولون بالتحسين والتقبيح العقليين ، ولا يوجبون عليه سبحانه وتعالى أى شىء ، لأنه يتصرف فى ملكـــــه وبعبيده ، فانهم يقولون بجواز الثواب أو العقاب ، فان شاء سبحانه أثاب عبادة وان شاء عاقبهم ، وان شاء أعـدمهم جميعا بلا ثواب ولا

---

(١) شرح الأصـــول الخمسة ص ١٣٤ ــ ١٣٥ .

(٢) المختصر فى التوحيـــد والعـــدل ص ٢٢٨ .

عقاب ، بل له سبحانه أن يعكس الموقف بأن يثيب الكافر وأن يعاقب المطيع ولا يستحيل ذلك فى نفسه ، لأنه ممكن وكل ممكن واقــع تحت قدرته تعالى كما لا يناقض صفة من صفات الألوهية ، لأن التكليف تصرف فى ملكه ، فاذا أثاب فان الثواب منه فضــل واذا عاقب فان العقــاب منــه عــدل ٠

يقول الجوينى : (الثواب عند أهـل الحــق ليس بحــق محتوم ولا جزاء مجزوم وانما هــو فضل من الله والعقاب لا يجب أيضا والواقع منه عــدل ، وما وعــد الله به من الثواب أو توعـد به من العقــاب فقوله الحــق ووعــده الصــدق)[٣] ٠

ويوضح ســعد الدين التفتازانى القضية بقــوله (ومعنى كون الثواب والعقاب غير مستحق أنه ليس حقا لازما يقبح تركه ٠

وأما الاستحقاق بمعنى ترتبهما على الأفعال والتروك ٠٠٠٠ فما لا نزاع فيه وقــد ورد بذلك الكتاب والسنة)[٤] ٠

أى لا نزاع فى أن الثواب مترتب على العمــل الصالح والعقــاب مترتب على المعاصى ، وليس الثواب بحق لازم للمطيع ولا العقاب بحق لازم للعاصى ، بل الأمر متوقف علي المشيئة الالهية ٠

أدلــة الأشــاعرة :

أولا : كون الثواب واجبا بالمعانى الثلاثة للواجب غير مفهوم فى حقه تعالى اذ لا ضرر يلحقه سبحانه فى الدنيا أو الآخرة بتركه اثابة

---

(٣) الارشـــــاد ص ٣٨١ ٠

(٤) شرح المقاصــد جزء ٢ ص ١٦٦ ٠

المطيع ، كما أن عـدم اثابته تعالى للمطيع لا تؤدى الى محال ، لأنه سبحانه يعلم كل شىء ويتصرف بمشيئته ٠

أما اذا أريد بوجوب الاثابة حتى لا يصير وعـده كذبا ، والكذب محال عليه سبحانه فان الغزالى يقول : (نحن نعتقد الوجوب بهـذا المعنى ولا ننكره)(٥) ٠

ثانيا : ان طاعات العبد مهما كثرت فانها لا تفى بشكر نعمـة واحـدة من نعمـه سبحانه ٠

ونعمه على الانسان لا تحصى فكيف يتصور عوضا على طاعتـه لـربه ٠

يقول الجـوينى مدللا على عـدم وجوب الثواب على الله للعبد على طاعته أو عبادته (فان ساعدناهم على التقبيح والتحسين عقلا ، ألزمناهم على موجب أصلهم أمثلة لا قبل لهم بها)(٦) ٠

منها أن السيد اذا كان يكفل عبده كفالة تامة ويعطيه كل ما يحتاج اليه ، والعبد يخـدم سيده ، فلا يجب على السيد اعطاءه عوضـا لخـدمته ٠ واذا كان هـذا سبيل من يخـدم مثله فالعبد منا يعيش فى نعم الله ونعمه لا تفارق الانسان لحظة واحـدة ، بل هى متتابعة فى اليقظة والمنام وفى كل الأحـوال والأزمان ٠

فلو قوبلت عبادة الانسان لربه بنعمة من نعمه لزادت النعمة على كل ما يتقرب به الانسان لربه طيلة عمره ٠

---

(٥) الاقتصـاد فى الاعتقـاد ص ١٥٧ ٠
(٦) الارشـاد ص ٣٨٢ ٠

واذا كان الأمر كذلك (فكيف يستوجب العبد بالنذر اليسير من أعماله مزيد ثواب لولا فضله العظيم)(٧) .

ثالثا : انه لو وجب الثواب على الطاعات والعقاب على المعاصى بطريق الاستحقاق ، لوجب اثابة من قضى عمره مؤمنا ثم ختم حياته بالكفر . ولوجب عقاب من قضى عمره عاصيا ثم ختم بالايمان (ضرورة تحقق الوجوب والاستحقاق واللازم باطل)(٨) . .

وبطلانه يؤذن ببطلان ما أدى اليه وهو وجوب الثواب أو العقاب استحقاقا .

المعتزلة والثواب :

يقول معتزلة البصرة بوجوب الثواب على الله سبحانه وتعالى لعبده الطائع .

ودليلهم أن التكاليف أمور شاقة ، وهذه التكاليف اذا كانت لا لغرض ، كان صدورها عن الله عبثا وهو سبحانه وتعالى منزه عن العبث . وان كانت لغرض راجع اليه — فهو سبحانه منزه عن الحاجة والانتفاع والتضرر .

بقى أن تكون لغرض راجع الى العبد ، وكون الغرض تعذيب الانسان فى الآخرة باطلا قبيحا ، لأنه يتحمل الكثير من المشاق فى الدنيا بسبب التكاليف ، فلم يبق الا كون الغرض من التكليف هو النفع فى الآخرة أى الثواب .

---

(٧) الارشاد للجوينى ص ٣٨٢ .
(٨) شرح المقاصد جزء ٢ ص ١٦٦ .

ويرد عليهم بمنع وجوب الغرض لأن أفعاله سبحانه لا تعلل بالأغراض ، فهو يفعل فى ملكه ما يشاء ولا سلطان لأحد عليه[9] •

ويقولون بوجوب العقاب :

أما العقاب فان المعتزلة يوجبونه على الله تعالى لكل من مات على كبيرة ولم يتب منها •

ويرد عليهم بأن (هذا جهل بالكرم والمروءة والعقل والعادة والشرع)[10] لأسباب :

(أ) ان التجاوز والصفح فى الشاهد أحسن من العقوبة والانتقام والشرع يحثنا على ذلك لقوله تعالى (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور)[11] • ويقول تعالى (وان تعفوا أقرب للتقوى)[12] •

(ب) ان العفو والتسامح من شيم الكرام ، وتتجه العقول الى مدح كل من يتصف بهما •

هذا فى الشاهد المتضرر بجناية الآخرين عليه وعصيانهم لأوامره • أما بالنسبة لله تعالى فهو متصف بكل كمال يليق بذاته المقدسة ، ومن هذه الكمالات الرحمن والرحيم والحليم والعفو والتواب •

---

(٩) شرح المواقف جزء ٣ ص ٢٣٢ •
(١٠) الاقتصاد ص ١٥٨ •
(١١) سورة الشورى الآية ٤٣ •
(١٢) سورة البقرة الآية ٢٣٧ •

ومع اتصافه بكل كمال فان الكفر والايمان والطاعة والعصيان فى حقـه سواء ، لا ينقص من ملكه كفر الكافر ولا يزيد فى ملكه ايمـان المؤمن يقول سبحانه وتعالى فى حـديث قـدسى (يا عبادى انكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفرلكم الذنوب جميعا . فاستغفرونى أغفر لكم ، يا عبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . يا عبادى : لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجـل واحـد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا . يا عبادى : لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم ، كانوا على أفجـر قلب رجل واحـد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا)[13] .

واذا كان الصفح والعفـو يحسن من الانسان مع تلذذه بالانتقام وزيادة ألمـه بكظم الغيظ ، فمن باب أولى يحسن العفو منه تعالى مـع تنزهه عن الحاجـة وغنـاه عن خلقـه[14] .

(على أنا نقول لو سلك سالك ضـد هـذا الطريق بعينه كان أقـوم قيلا ، وأجرى على قانون الاستحسان والاستقباح الذى يفضى الى الأوهام والخيالات . وهـو أن نقول الانسان يقبح منه أن يعاقب على جناية سبقت وعسر تداركها الا لوجهين)[15] .

أولهما : اذا كان ايقاع العقوبة بالجانى فيه زجر ومصلحة فى المستقبل . وكان عـدم ايقاعها يؤدى الى الفوضى وانتشار الجريمة .

أما اذا لم يكن هناك مصلحة متوقفة على ايقاع العقوبة الا مجرد المجازاة فان ايقاعها أمر قبيح ؛ لأن المجنى عليه لن يستفيد شـيئا ،

---

(١٣) رواه مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه وما ذكرناه هـو جـزء من حـديث طـويل .

(١٤) الارشـاد ص ٣٩٢ .

(١٥) الاقتصـاد ص ١٥٨ — ١٥٩ .

ولن يستفيد أحـد معـه • والجانى سيتأذى بالعقوبة • ودفع الأذى عنه أحسن اذ لا فائدة فى ايقاعـه •

ثانيهما : اذا تأذى المجنى عليه وتألم واشتد غيظه وكان شـفاء غيظه وزوال ألمـه لا يتم الا بايقاع الأذى بالجـانى ، آنذاك يكون ايقاع العقـوبة أولى من الترك •

وقـد عرض الغزالى هـذين الوجهـين الا أنه يذهب الى القول بأن لجوء المجنى عليه ــ المتألم الذى اشتد غيظه ــ الى ايقـاع العقوبة بالجانى دليل على ضعف عقله وسيطرة الغضب عليه •

ومن الأحسن أن يكظم غيظه ويعفو عن من ظلمه ويسارع الى طلب الرحمة من ربه يقول سبحانه وتعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنـة عرضها السموات والأرض أعـدت للمتقين • الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعـافين عن النـاس والله يحب المحسـنين)(١٦) •

يقول الغزالى (فأما ايجاب العقاب حيث لا يتعلق به مصلحة فى المستقبل لأحـد فى عالم الله تعالى ، ولا دفـع أذى عن المجنى عليـه ففى غاية القبح • وهـذا أقـوم من قـول من يقول ان ترك العقاب فى غـاية القبـح •

والكل باطـل واتباع لموجب الأوهام التى وقعت بتوهم الأعراض والله تعالى متقـدس عنها ولكنا أردنا معارضة الفاسد بالفاسـد ليتبين به بطـلان خيـالهم)(١٧) •

---

(١٦) سـورة آل عمـران آية ١٣٣ ، آية ١٣٤ •
(١٧) الاقتصـاد ص ١٥٩ •

أدلـــة المعـــتزلة :

أولا : انه سبحانه وتعالى توعــد ألمصر على الكبائر بالعقاب وأخبر بذلك ، فلو لم يعاقب سبحانه مرتكب الكبيرة على كبيرته التى مات عليها دون توبة ، وعفـــا عنه ، للزم الخلف فى وعــده ، والكذب فى خبره وكلاهما محالان فى حقـــه سبحانه •

يقول القاضى عبد الجبار (ان الله سبحانه وعــد المطيعين بالثواب وتوعــد العصاة بالعقاب ، فهو سبحانه يفعل ما وعــد به وتوعــد عليه ولا يجوز عليه الخلف والكذب)[١٨] •

ويرد عليهم بأن الوعيد والاخبار لا يفيدان الا الوقوع فمن أين أتوا بالوجوب ، أى أن مرتكب الكبيرة المصر عليها يعاقب ، أما أنه يجب على الله سبحانه أن يعاقبه فان الوجوب بكل معانيه غير جائز فى حقـــه سبحانه والله يتصرف فى ملكه • ثم ان العقاب حقه سبحانه وتعـــالى (وليس فى استيفائه نفع ولا فى اسقاطه ضرر فله عفـــوة بل يحسن عفـــوه كما فى الشاهد)[١٩] •

ثم ان الخلف فى الوعيد ليس نقصـــا بل هـــو كرم منـــه ســبحانه وتعـــالى •

ثانيا : ومن أدلتهم أيضا انه اذا لم يجب الثواب على الطاعـــة والعقاب على المعصية لأدى ذلك الى التقصـــير فى الطـــاعة وعــــدم الاكتراث ، والاكثار من ارتكاب المعاصى ، لأن فى الطاعة مقاومة للنفس الأمارة وتحمل للمشاق ، وفى المعاصى لذات وشهوات تميل اليها النفس

---

(١٨) شرح الأصـــول الخمسة ص ١٣٦ •
(١٩) شرح مطـــالع الأنظـــار ص ١٩٦ •

ويرد عليهم (بأن شمول الوعد والوعيد للكل وغلبة ظن الوفاء بهما ، وكثرة الأخبار والآثار فى ذلك كاف فى الترغيب والترهيب ومجرد جواز الترك غير قادح)[٢٠] •

اعتراض للمعتزلة :

يقولون ان التكليف مع القدرة على الثواب وترك الثواب قبيح ويرد عليهم بأن القبيح ما خالف الغرض وهو سبحانه لتنزهه عن الأغراض وكونه سبحانه يكلف عباده مع قدرته على الثواب ، وتركه للاثابة لا لغرض يرجع الى ذاته فلا قبح اذا •

أما اذا كان المقصود مخالفة غرض الانسان المكلف فهو مسلم • لكن ما هو قبيح فى حقه كانسان مكلف لا يمتنع عليه سبحانه فعله ، اذ القبيح والحسن فى حقه سواء ، وأفعاله تعالى لا تعلل بالأغراض •

يقول الغزالى (على أنا لو نزلنا على فاسد معتقدهم ، فلا نسلم أن من يستخدم عبده يجب عليه فى العادة ثواب ، لان الثواب يكون عوضا عن العمل فتبطل فائدة الرق ، وحق على العبد أن يخدم مولاه لأنه عبده ، فان كان لأجل عوض فليس ذلك خدمة)[٢١] •

والعبد يتمرغ فى نعمائه سبحانه وتعالى منذ بدء وجوده فى دنيا الناس الى أن يخرج منها الى عالم الخلود — فله أن يشكر ربه باخلاص العبودية له ، ومعرفته تعالى حق المعرفة ، وتأكيد ذاته وفقا لما أراد سبحانه •

وهو اذ يشكر فانما يشكر باقدار الله له ، أى بنعمة جديدة

---

(٢٠) شرح المقاصد جزء ٢ ص ١٦٦ •
(٢١) الاقتصاد ص ١٥٧ •

وهكذا تتوالى النعم الالهية ، وتتابع أفضاله عز وجل على الانسان فى كل لحظة من لحظات عمره .

وهو اذ يؤدى ما عليه من حقوق لا يستوجب أى عوض بازاء ما أدى .

فلا يجب عليه سبحانه أن يثيبه على الشكر ، لأن الوجوب بكل معانيه منتف فى حقه سبحانه وتعالى ، ولأنه سبحانه ، يتصرف فى ملكه ومع مخلوقاته .

الدعوى السادسة

النظر لمعرفة الله سبحانه وتعالى هل هو واجب بالشرع أم بالعقل

ذهب جمهور المسلمين الى أن معرفة الله سبحانه وتعالى واجبة • واختلفوا فى الطريق الموصل لهذه المعرفة • قال الصوفية بأن الطريق هو الرياضات والمجاهدات النفسية والتصفية الباطنية • وقال الأشاعرة والمعتزلة بأن الطريق الموصل هو النظر والموصل الى الواجب واجب •

ثم بعد ذلك اختلف الأشاعرة والمعتزلة فى وجوب النظر الموصل لمعرفة الله فقال الأشاعرة ان الذى أوجب النظر هو الشرع لقوله تعالى (قل أنظروا ماذا فى السماوات والأرض)(١) وقوله سبحانه (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض)(٢) •

أما المعتزلة فيقولون بأن الذى أوجب النظر لمعرفة الله تعالى هو العقل •

فنعم الله كثيرة على الانسان لا تحصى ولا تعد يقول سبحانه (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها)(٣) ويقول (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة)(٤) •

وشكره سبحانه على ما أنعم واجب عقلا ، لأن بالشكر يندفع الخوف ، ودفع الخوف عن النفس واجب عقلا ، فالشكر واجب عقلا ،

---

(١) سورة يونس آية ١٠١ •
(٢) سورة الأعراف آية ١٨٥ •
(٣) سورة النحل آية ١٠ •
(٤) سورة لقمان آية ٢٠ •

وشكره تعالى يتوقف على معرفته اذا معرفته واجبة عقلا ، والمعرفة لا تتحقق الا بالنظر (وما لا يتم الواجب المطلق أى الذى يجب فى كل حال الا به ، وكان مقدورا ، فهو واجب عقلا)[5] وعلى هذا يكون النظر واجبا بالعقل •

دليل الأشاعرة على قولهم بأن النظر لمعرفة الله واجب شرعا :

ان العقل ان أوجب النظر وطلب معرفة الله وطاعته وشكر نعمه ، فلا يخلو الأمر من أن يوجبه لغير فائدة أو لفائدة •

ويستحيل أن يوجبه لغير فائدة لأنه عبث ، اذ كل ما يخلو عن الفوائد فهو عبث •

فان أوجبه لفائدة فهذه الفائدة اما أن تعود الى الله سبحانه أو تعود للعبد •

ومن المحال أن تعود الفائدة الى الله سبحانه ، لأنه منزه عن الحاجة والفوائد ، اذ الكفر والايمان والطاعة والعصيان والثواب والعقاب فى حقه سواء •

واما أن تعود الفائدة الى العبد فى الحال ، وهو محال أيضا ، اذا لا فائدة ترجع اليه فى الحال من ايجاب النظر وطلب المعرفة ، بل تعب ومشقة • بقى أن يكون ايجاب النظر عقلا لفائدة فى المآل ، وليس فى الأخرة الا الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ، فمن أين يعلم العبد أن الله يثيب على الطاعة ويعاقب على المعصية ، ولم لا يكون

---

(٥) شرح مطالع الأنظار ص ٣٤ •

العكس وبخاصة أن الأمرين فى حقه سبحانه سواء (اذ ليس له الى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص)(٦) •

ويمكننا الايجاز فيما يلى : لو كان النظر لمعرفة الله واجبا بايجاب العقل ، لكان هذا الايجاب اما لفائدة أو لغير فائدة ، لكن التالى باطل كما رأينا فبطل ما أدى اليه من كون النظر لمعرفة الله واجبا بايجاب العقل •

ولما كان الايجاب اما بالعقل واما بالشرع وبطل القول بايجاب العقل يبقى أن الشرع هو الموجب للنظر لمعرفة الله سبحانه •

ويرد على المعتزلة بأنه لو كان العقل هو الذى أوجب النظر ، لكان الوجوب متحققا قبل البعثة ، ولو تحقق قبل البعثه لكان كل تارك له معذبا ، وكون كل تارك له قبل البعثة معذبا باطلا بنص القرآن الكريم يقول سبحانه وتعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)(٧) •

واذا بطل كون كل تارك له قبل البعثة معذبا بطل ما أدى اليه وهو وجوب النظر بالعقل وثبت الوجوب بالشرع(٨) •

---

(٦) الاحياء جزء ١ ص ١١٨ .

(٧) سورة الاسراء الآية ١٥ .

(٨) يؤكد الفخر الرازى فى كتابه المحصل ص ٤٦ معنى وجوب النظر بالشرع لا بالعقل بقوله ان فائدة الوجوب الثواب والعقاب ولا يقبح من الله تعالى شىء من افعاله ، فلا يمكن القطع بالثواب والعقاب من جهة العقل فلا يمكن القطع بالوجوب .

كلام المعتزلة لتوضيح مذهبهم

يقولون يخطر ببـــال الانسان أن له ربا ، وأنه ان شكر نعمـــه عليه أثابه ، وان لم يشكر ربه لهـذه النعم عاقبـــه ، فالثواب للشكر والعقـــاب لعـــدمه .

ولا يخطر ببـــال الانسان العكس أى العقاب على الشكر والثواب على عـــدمه .

ودفع الضرر المتوهم فى قضية العقل كدفـــع الضرر المعلوم أى أن دفـــع الضرر واجب عقـــلا(٩) .

يقـــول الجـــوينى حاكيا كلام المعتزلة (العاقـــل اذا علم أن لـــه ربا ، وجـــوز فى ابتداء نظره ان يريد منه الرب المنعم شكرا ، ولو شكره لأثابه وأكرم مثواه ، ولو كفر لعاقبه وأرداه . فاذا خطر لـــه الجائزان فالعقل يرشده الى ايثـــار ما يؤديه الى الأمن من العقـــاب وارتقـــاب الثـــــواب)(١٠) .

رد للأشـــاعرة على الـــكلام السابق :

أولا ــ لا ينكر الغزالى أن العقل بطبعه يستحث صـــاحبه على الابتعـــاد عن الضرر الموهـــوم والمعلوم .

ثانيا ــ لا يمنع من اطلاق اسم الايجاب على هـــذا الاستحثاث (فان الاصطلاحات لا مشاحة فيها ، ولكن الكلام فى ترجيح جهة الفعل على جهـــة الترك فى تقـــدير الثواب والعقاب مـــع العلم بأن الشكر وتركه فى حـــق الله سيان)(١١) .

---

(٩) الاقتصـــــاد ص ١٦٠ .
(١٠) الارشـــــاد ص ٢٦٨ .
(١١) الاقتصـــــاد ص ١٦١ .

ثالثا — لما كان الشكر وعدمه فى حق الله سبحانه سواء ، فان الكلام يتجه الى الشكر أو الترك ، وترجيح أحد الأمرين بالعقل على الآخر محال لاستوائهما فى حقه •

رابعا — ربما يخطر بالبال أن العقوبة تقع على الشكر لما يلى :

(أ) ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وخلق الملذات حوله ، وخلق ميله للشهوات • ولعل المقصود أن يشتغل بلذات نفسه • فانصرافه عن هذه الملذات واشتغاله بالشكر اتعاب لفكره وقلبه ، وتعطيل لنفسه عن استيفاء نعم الله عليه ، ولا فائدة لله سبحانه وتعالى فيه •

(ب) لو أن شخصا أراد أن يشكر ملكا لانعامه عليه فراح يبحث عن كل ما يتصل بهذا الملك من أوصاف وصفات وأخلاق ومكان ومكانه وأسرار ظاهره وباطنه مجازاة لانعامه عليه لقيل له أنت بهذه الأعمال فضولى تستحق العقاب ، لأنك انصرفت عن ما يعنيك الى ما لا يعنيك • ومن أنت حتى تبحث عن أسرار الملوك •

فكذلك الذى يطلب معرفة الله تعالى بالعقل كأن يريد أن يعرف دقائق الصفات والأفعال والحكم والأسرار (وكل ذلك مما لا يؤهل له الا من له منصب ، فمن أين عرف العبد أنه مستحق لهذا المنصب)[١٢] •

خامسا — يقول الجوينى فى رده على كلام المعتزلة الذى حكاه قبل ذلك انهم اقتصروا على شطر واحد من الكلام ، ولو أنهم أنهوه الى نهايته لبلغهم الحق (وذلك أنه ان خطر له ما قالوه فيعارضه خاطر آخر يناقضه ، وذلك أن يخطر للعاقل أنه عبد مملوك مخترع

---

(١٢) الاقتصاد ص ١٦١ •

مربوب ، وأنه ليس للمملوك الا ما أذن له فيه مالكه ، فلو أتعب نفسه لسارات مكدودة مجهوده من غير اذن ربها ... فاذا عارض هذا الخاطر ما ذكروه قضى العقل بتوقف من خطر له الخاطران)[13] .

اعتراض للمعتزلة :

يقولون ان الوجــوب ان لم يكن مدركا بالعقل لأدى ذلك الى افحــام الرســول .

وذلك لأن الرسول حينما يأتى بالرسالة ويظهر المعجزة ويقــول أنظروا فى رسالتى وفى معجزتى حتى تصــدقونى .

فللقوم أن يقولوا له اذا لم يكن النظر واجبا فلا ننظر . وان كان واجبا فيستحيل أن يكون الوجوب بالعقل لأنه لا يوجب ، ويستحيل أن يكون الوجوب بالشرع اذ الشرع لا يثبت الا بالنظر فى المعجزة (ولا يجب النظر قبل ثبوت الشرع فيؤدى الى أن لا تظهر حجــة النبــوة أصــلا)[14] .

ويعبر عن هــذا الاعتراض بطريقة أخرى وهــو أنه اذا لم يثبت الوجوب العقلى ، لم يثبت الوجوب الشرعى أبدا .

فانه اذا جاء الشرع وقال أنا نبى من عند ربى وهــذه معجزتى . فهل يجب الاستماع اليه أم لا يجب ؟

ان قلنا لا يجب فقــد ضيعنا الرسالة والرسول والمعجزة .

وان قلنا يجب الاستماع اليه ، فهل الوجوب بالعقل أم بالشرع ؟

---

(١٣) الارشــاد ص ٢٦٩ .

(١٤) الاقتصــاد ص ١٦٢ .

ان كان بالعقل فقد تم المطلوب وهو ثبوت الوجوب العقلى ، وهذا الوجوب بالعقل لا تقول به الأشاعرة •

وان كان الوجوب بالشرع فهو باطل ، لأن المشرع اما أن يكون هو ذلك المدعى أو غيره •

فان كان هو رجع حاصل الكلام الى أن ذلك الرجل يقول الدليل على أنه يجب قبول قولى أنى أقول أنه يجب قبول قولى وهذا باطل ، لأنه اثبات الشيء بنفسه •

وان كان غيره كان الكلام فيه كما فى الأول ولزم الدور أو التسلسل وهما محالان(١٥) • وثبت بهذه ان الوجوب بالعقل ثابت لا يمكن دفعه •

رد للأشاعرة :

يقول الغزالى ان النبى حينما يأتى ويقول (ان وراءكم الموت ودونه السباع الضارية ، والنيران المحرقة ، ان لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا لى صدقى بالالتفات الى معجزتى والا هلكتم • فمن التفت عرف واحترز ونجا ، ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ولا ضرر على ان هلك الناس كلهم أجمعون وانما على البلاغ •

فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله فى المستقبل ، والطبع يستحثه على الحذر من الضرر •

ومعنى كون الشيء واجبا أن فى تركه ضررا ، ومعنى كون الشرع موجبا ، أنه معرف للضرر المتوقع ، فان العقل لا يهدى الى التهدف

---

(١٥) تفسير الفخر الرازى المجلد العاشر ج ٢٠ ص ١٧٣ •

للضرر بعـد الموت عند اتباع الشهوات فهـذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما فى تقـدير الواجب ، ولولا خـوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر فى الآخرة)(١٦) •

والحقيقة أن الذى أوقـع المعتزلة فى هـذا الخلط جهلهم بحقيقة الوجوب فالوجوب هـوترجيح جانب الفعل على جانب الترك لدفـع ضرر موهـوم فى الترك أو معلوم •

والموجب هـو المرجح وهـو الله عز وجـل وهـو سبحانه اذا ربط العقاب بترك النظر كان المعنى ترجيح الفعل على الترك •

وقـول النبى انه ـ أى النظر ـ واجب أى مرجح بترجيح الله تعـالى •

والمدرك هـو جهة معرفة الوجوب ، وهـو قول النبى أن هـذا مسعد وهـذا مشقى ، لانفس الوجوب •

ولا يشترط فى الواجب أن يكون وجوبه معلوما بل أن يكون علمه ممكنـا لمن أراده •

فقول النبى ان الكفر سم مهلك ، والايمان شفاء مسعد ، أى أن الله جـل الأول مهلكا والآخر مسعدا ، ولا دخـل لى الا كـونى مبلغـا فقط •

أما الذى رجـح الايمان على الكفر فهو الله ، وانا أرشـد الى طريق يعرف به صـدقى ، وهـذا الطريق هو النظر فى الأمر الخارق

(١٦) الاحيـاء حـ ١ ص ١١٨ •

الذى يظهره الله على يدى ويأمرنى بالتحدى به ويتضح للغير عدم القدرة على معارضته ، فمن نظر عرف صدقى والتزم بما أقول نجا وكانت له السلامة • ومن انصرف عن النظر لم يعرف صدقى وكانت له الندامة • ويضرب الغزالى مثالا توضيحيا بالطبيب الذى يبين لمريضه أن الدواء الفلانى دواء مهلك للحيوانات ، واذا أراد التأكد من ذلك فليطعمه لأى حيوان •

وينصح الطبيب مريضه بعدم تناوله والا هلك •

وان الدواء الآخر فيه الشفاء من مرضه وما عليه الا تناوله باسم الله ليشفى •

ويوضح الطبيب للمريض أن الدواءين فى حقه وحق معلمه الكبير سواء وكذلك الشفاء والموت •

فان تمحك المريض وقال للطبيب (هذا يجب على بالعقل أم بقولك ، وما لم يظهر لى هذا لم أشتغل بالتجربة كان مهلكا نفسه)(١٧) ولا يلحق الطبيب أو أستاذه أى ضرر من تناول المريض للدواء أو عدم تناوله •

فالطبيب هو الرسول ، وقد أعلمه الله أن الايمان مسعد للانسان فى دنياه وآخرته والكفر مهلك ، وأمره أن يبلغ الناس بذلك بقوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته •••)(١٨) •

وان يبلغهم أن الله غنى عن العالمين ، وأن الشقاوة والسعادة

---

(١٧) الاقتصاد ص ١٦٣ .

(١٨) سورة المائدة آية ١٦٧ .

تستويان عنده سبحانه لا يتضرر بشقاوة الشقى . ولا يزيد فى ملكه سعادة السعيد يقول سبحانه (فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها)[19] •

اعتراض للمعتزلة :

ويذكر الغزالى اعتراضا للمعتزلة يقولون فيه ان الأمر قد رجع الى أن العقل هو الموجب لأن الانسان حينما يسمع كلام الرسول ودعواه يتوقع عقابا فيحمله العقل على الحذر ولا يحصل الحذر الا بالنظر فيوجب عليه العقل النظر •

ونذكر رد الغزالى بنصه لوضوحه حيث يقول (الحق الذى يكشف الغطاء فى هذا •••• أن الوجوب كما ظهر عباره عن نوع رجحان فى الفعل • والموجب هو الله لأنه هو المرجح والرسول مخبر عن الترجيح والمعجزة دليل على صدقه فى الخبر • والنظر سبب فى معرفة الصدق • والعقل آلة النظر والفهم معنى الخبر •

والطبع مستحث على الحذر ، بعد فهم المحذور بالعقل •••• وكذلك ينبغى أن يفهم الحق فى هذه المسألة)[20] •

---

(١٩) سورة الأنعام آية ١٠٤ .
(٢٠) الاقتصاد ص ١٦٣ — ١٦٤ .

الدعـوى السـابعة

فى بعثة الأنبياء والرســل

لما كنا بصدد الحديث عن حكم ارسال الأنبياء والرسل فانه يلزمنا أن نعرف بالنبى لغة واصطلاحا ، وكذا الرسول ، ثم بيان الفرق بينهما ان وجد •

أولا — التعريف اللغوى :

لفظ النبى بدون همزة مأخوذ من نبا ينبو النبأوة وهى الارتفاع والنبوة التى هى الرفعة أو الأرض المرتفعة •

أو مأخوذ من النبى بمعنى الطريق ، وذلك لأن النبى وسيلة وطريق الى الحق • والصلة بين الأصل اللغوى وكلمة النبى صلة وثيقة ، لأن الأصل فى اللغة يدل على الارتفاع والعلو ، والنبى مرتفع عن بقية البشر بكماله الجسمانى ونقائه الروحى ، وباصطفائه وتحمله لكلمة السماء ولمكانته الرفيعة عند خالقه سبحانه وتعالى ، ولأنه يسمو بمن يتبعه الى درجة عالية ، هى درجة المعرفة الحقة والتوحيد الخالص •

أما بالهمز النبىء فهو مأخوذ من الفعل نبأ بمعنى خبر أنبأ بمعنى أخبر ، النبأ بمعنى الخبر ، والانباء بمعنى الاخبار •

وذلك لأنه منبأ — اسم مفعول — أى مخبر من الله سبحانه وتعالى ، ومنبىء — اسم فاعل — أى مخبر للناس(١) •

---

(١) شرح المواقف حـ ٣ ص ٧١٣ •

يقول ابن منظور (وان اخـذت النبى من النبوة والنباوة وهى الارتفاع من الأرض لارتفاع قـدره ، ولأنه شرف على سائر الخلق .... والنبأ الخبر والنبيء المخبر عن الله عز وجل .... وهـو فعيل بمعنى فاعل ، وقال ابن برى صـوابه ان يقال فعيل بمعنى مفعل مثل نذير بمعنى منذر ... والهمز فى النبيء لغـة رديئة الا ترى الى قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقـد قيل يانبيء الله فقال : لست بنبيء الله ولكنى نبى الله)(٢) .

ويذهب ابن تيمية الى القول بأن هـذا الحديث لا أصل له(٣) .

أما القاضى عبد الجبـار فلا يرى أى حرج فى أى استعمال من الاستعمالين ، لأن الاستعمال بالهمز ظاهر وصـحيح مثل الاستعمال بغيرها ، حيث تقول اللغة النبيء والنبى .

واذا صـح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنـع الاستعمال بالهمزة ، فيجب أن يحمل على (أنه تعليم لهم كيف يعظمونه ويمدحونه ، لأنهم اذا أرادوا هـذا الوجـه فالواجب استعماله بلا همز فهو يعلمهم عن الله ان يصفوه بأشرف الصفات وأقربها الى الرفعة والجلالة والى التعظيم الذى يستحقه)(٤) .

وذلك لأن الألفاظ نبا ، ينبو ، النبوة ، النباوة ، التى أخـذت منها لفظة النبى كلها تدل على الارتفاع والعلو والتسامى .

بينما الفعل نبأ انبأ ، والمصـدر النبأ بمعنى الخبر والنبيء أى

---

(٢) لسـان العـرب ن ب ا ـ ن ب و .
(٣) النبـوات ص ٢٣٧ .
(٤) المغنى حـ ١٥ ص ١٤ ، ١٥ .

المخبر • فلو قارنا بين اللفظين لوجدنا أنه مع صحتهما فان أحقهما بالتقديم على الآخر هو ما يوصل الى صفات مدح أكثر من الآخر •

ومن الواضح أنه الاستعمال بدون همز أى النبى •

أما الرسول فمأخوذ من الفعل المتعدى ارسل ، يقال ارسلت فلانا الى كذا فهو مرسل — اسم مفعول — ورسول والجمع رسل بضم السين وتسكينها •

وفى اللغة الرسل القطيع من كل شىء والجمع ارسال ؛ وجاءوا ارسالا ارسالا أى جماعة جماعة •

يقول البغدادى (ان الرسول هو الذى تتابع عليه الوحى من رسل اللبن اذا تتابع درة)(٥) •

فالرسول يتتابع نزول الوحى عليه ، وهو فى نفس الوقت يتابع كل ما يتصل بمرسله الله عز وجل •

يقول أبو بكر بن الانبارى فى قول المؤذن أشهد أن محمدا رسول الله (اعلم أن محمدا متابع للاخبار عن الله عز وجل) •

والرسول معناه فى اللغة الذى يتابع اخبار الذى بعثه أخذا من من قولهم جاءت الابل رسلا أى متتابعة)(٦) •

وحينما يذكر لفظ الرسول فى جانب الرسالات السماوية ينصرف الى من أرسله ربه برسالة الى بنى البشر وجعله واسطة وسفيرا ليبلغ

---

(٥) اصول الدين ص ١٥٤ .
(٦) لسان العرب ر. س. ل .

كلمة السماء • وهـذا يعنى وجود مرسل بكسر السين وهـو الله ، ومرسل بفتحها وهـو الرسول ، ومرسل اليهم وهم بنو البشر ، ورساله وهى التكاليف الشرعية •

ثانيا ـ التعريف فى الاصطلاح :

يعرف النبى بأنه انسان حر اختصه الله سبحانه وتعالى بسماع وحى بحكم شرعى تكليفى •

أما الرسول فهو انسان حر اختصه الله سبحانه وتعالى بسماع وحى بحكم شرعى تكليفى وأمره بتبليغه •

فاذا أردنا أن نعرف الفرق بينهما من هـذين التعريفين ، فسنجد أن الرسول ينفرد بالآمر بالتبليغ أى أنه أخص من النبى •

وبناء على هـذا فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا •

فهما يشتركان فى كل شىء الا الآمر بالتبليغ حيث ينفرد به الرسول يقول الشريف الجرجانى (الرسول انسان بعثه الله الى الخلق لتبليغ الاحكام ••• وكل رسول نبى من غير عكس)(٧) •

وفى تعريف ثان فأن الرسول والنبى يشتركان فى كل شىء بمـا فى ذلك الأمر بالتبليغ ، الا أن الرسول يشترط فيه أن يكون معه كتـاب وشريعة متجـددة ومتممة وناسخة لبعض الشرائع التى سبقت بينما لا يشترط ذلك فى النبى بل قـد يدعـو لكتاب وشريعة من سبقه وذلك كأنبياء بنى اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليه السلام يقول الفخر الرازى (ان الرسول من الأنبياء من جمع الى المعجزة الكتـاب

---

(٧) التعريفـات ص ١١٠ •

المنزل عليه والنبى غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانمـا أمر ان يدعـو الى كتـاب من قبله)(٨) .

ويذكر البغـدادى أن الفرق بينهمـا أن النبى من أتاه الوحى والرسول من يأتى بشرع على الابتداء وينسخ بعض الأحكام التى سـبقته(٩) .

وهناك تعريف ثالث . يذكر ان الرسول هـو الذى يأتيه ملاك الوحى فى الظاهر ويأمره بتبليغ كلمة الله الى الناس ، أما النبى فليس كذلك بل يرى فى النوم أو يبلغه أحـد الرسل بأنه نبى(١٠) .

فسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام جاءه جبريل عليه السلام يقظه وأمر بتبليغ الناس دعوة ربه يقول سبحانه (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك)(١١) وقـد رأى بعض الصحابة ملاك الوحى فى صورة اعرابى أو فى صورة الصحابى الجليل دحية الكلبى ، أما من رأى فى النوم أو بلغ من رسول فى عصره فهو نبى .

ويذهب المعتزلة الى القول بأن النبى هـو الرسول ولا فرق بينهما الا من ناحية الخطاب ، فأن قال له الله سبحانه يا أيها النبى فهو نبى ، وان قال له يا أيها الرسول فهو رسول فكل رسول نبى وكل نبى رسول .

ودليلهم ان الأنبيـاء يتميزون عن غيرهم بظهور المعجزات على أيديهم التى توجب اتباعهم والرجوع الى قولهم وفعلهم وهذا لا يوجد فيمن ليس برسول وان كان يؤدى عن الله تعالى(١٢) .

---

(٨) تفسير الفخر الرازى م ١٢ حـ ٢٣ ص ٥٠
(٩) اصـول الدين ص ١٥٤ .
(١٠) تفسير الفخر م ١٢ حـ ٢٣ ص ٥٠ .
(١١) سـورة المـائدة آية ٦٧ .
(١٢) المغنى حـ ١٥ ص ١٢ .

ويؤكدون كلامهم هــذا بقولهم ان الله سبحانه وتعالى خاطب محمدا عليه الصلاة والسلام مرة بأنه نبى ومرة بأنه رسول ، فــدل ذلك على أنه لا تغاير بين الاثنين • ثم أنه تعالى نص على أن محمــدا خاتم النبيين بقوله تعالى (وخاتم النبيين) ونحن نعلم أنه مرسل اذن فهــو نبى ورســول •

الرد على المعتزلة :

وقــد رد الأشاعرة على قول المعتزلة القائلين بأن الرسول هــو النبى ، والنبى هــو الرسول قائلين : ان العطف يقتضى المغايرة فحينما نقول جاء محمد وعلى فقــد عطفنا عليا ، على محمد وبالتأكيد ان عليا غير محمد وقــد قال سبحانه وتعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشــيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشــيطان)[١٣] •

فقــد عطف سبحانه وتعالى النبى على الرسول وهــو من باب عطف العــام على الخاص وهــذا يدل على مغايرتهما •

ويقول سبحانه (وكم أرسلنا من نبى فى الأولين) • وهــذا يدل على أنه كان نبيا فجعله الله مرسلا •

وقــد سئل عليه الصلاة والسلام عن عــدد الأنبياء فقال (مائة ألف وأربعــة وعشرون ألفــا الرســل منهم ثلثمائة وخمسة عشر جما غفــيرا)[١٤] •

---

(١٣) ســورة الحــج آية ٥٢ •
(١٤) ذكره احمد بن حنبل فى مسنده جـ ٥ ص ٢٦٦ وراجــع تفسير الفخر م ١٢ جـ ٢٣ ص ٥٠ •

ثم ان الرسول هـو فى نفس الوقت نبى فكل رسول نبى ولا عكس ، فسيدنا محمد حينما خاطبه الله مرة بأنه نبى وأخرى بأنه رسـول ؛ لأنه يجمـع بينهمـا .

وكذا حينما قال سبحانه (وخاتم النبين) لأنه لا نبى ولا رسول بعـده عليه السلام . يقول سبحانه (ما كان محمد أبا أحـد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما) (١٥) .

(١٥) سـورة الأحـزاب الآية ٤٠ .

يحدد الغزالى الفرق الثلاث التى سيتحدث عن موقف كل منها من حكم ارسال الرسل ، ويعنى هذا أنه يستبعد مسبقا موقف ما عداها مثل الفلاسفة والماتريدية وغيرهما .

ولما كنا مرتبطين بمنهجه فى الاقتصاد فى الاعتقاد لزم أن نتحدث عما حدد مسبقا .

ويعنى هذا أننا سنتناول موقف الأشاعرة القائلين بالجواز والمعتزلة القائلين بالوجوب والبراهمة القائلين بالاستحالة.

أولا — الانسان وحاجته الى الرسل :

الانسان فى حاجة الى معرفة الاجابات الصحيحة عن الأسئلة التالية من أنا ؟ ومن أين أتيت ؟ ولماذا أذهب ؟ والى أين أذهب وما هى الغاية من وجودى ؟ وكيف أحقق هذه الغاية ؟ ثم هو فى حاجة الى معرفة ما حوله من أمور محسوسة . ومعرفة صلته بالكون وصلة الكون به .

وهو من جهة أخرى لا يستطيع ان يعرف ما يتصل بالغيب من ملائكة وشياطين وما يحدث بعد الموت وفى الآخرة من صراط وميزان وجنة ونار وثواب وعقاب وهى أمور ترتبط بعقيدته فى الله سبحانه وتعالى ويتوقف على معرفتها أمنه النفسى فى الدنيا ، وفوزه برضوان الله فى الآخرة .

فاذا ترك الانسان مع عقله سوف يندفع للحيرة والقلق .

وقضية ابتلائه واختباره ومسئوليته عن كل ما يصدر عنه ، تتوقف على معرفته الحقيقية لما يسعده وما يشقيه كما تتوقف على

تحقيق عبوديته الكاملة لربه ، ومعرفة أوامره ونواهيه وما هــو حلال وما هو حرام وما هو حق وما هو باطل وما هو حسن وما هو قبيح •

ثم ان الانسان فى أشـــد الحاجة لمن يوثق علاقته بنفسه وبأخوته فى البشرية بل يوثق علاقته بالكون كله •

وهــو مكون من روح وبدن وتحقيق التوازن بينهما ضرورى لأمنه النفسى وسعادته • فمن يهــديه لتحقيق هــذا التوازن •

والغرائز فيه تتصارع ، كل غريزة تريد الاشباع ، وهــذا يعنى التوجه نحــو الحيوانية ، ويعنى من جانب آخر أن هــذا الاشباع لن يتم الا على حساب الحــد من رغبات الآخرين ، والآخرون مثله لهم غرائزهم التى تتطلب الاشباع •

فلو ترك كل شخص وشأنه لا ندفع الكل الى التقاتل •

فمن يعرف كل فرد بما عليه من واجبات ، وماله من حقوق حتى ينتظم أمر الكل ؟ ومن يتدخل بالقيم النبيلة ليدفع بالانسان راضــيا الى الاستعلاء عن رغباته وشهواته والاتجاه الى تهــذيب الأخلاق ؟

ومن يعرف الانسان بالتشريعات التى تصلح من شأن نفسه وشأن مجتمعه دون انحياز لفئه على حساب فئه أخرى بل يتعامل مع الــكل سواء ، ويكون فى نفس الوقت المصلح المثالى الذى تتأكد فيه كل القيم السامية والمعانى النبيلة ويكون القــدوة للجميع •

أنه الرسول ، سفير الله سبحانه وتعالى الى بنى البشر ، والمعــد اعــدادا خاصا لتحمل كلمة السماء ، والمؤيد بأمور خارقة لمــا تعــوده الناس حتى اذا راوها صــدقوه فيما يدعيه •

ان الانسان منذ ولادته الى مماته فى حاجة الى رسل الله . فهم وحــدهم الذين يعطون الاجابات الشافية للانسان ، ويعرفونه بربه المعرفة الحقه وبكل ما يتصل بالغيب ، ويعلمونه بالأوامر والنــواهى الالهية ، وما يترتب على الالتزام بالأوامر والابتعاد عن النــواهى ، ويبينون لــه حقيقـــة ذاته ومتى يكون مسئولا ، وماذا يترتب على مسئوليته ، وينظمون علاقته بنفسه وبالله ، وبالكون حوله ، ويحققون التوازن بين الروح و جسد ، ويحـــددون الحقوق والواجبات ، مــع ربطها بالثواب والعقاب فى الدنيا والآخرة .

ان الرسول حينما يأتى يقوى العقل فيما يستقل بمعرفته بأزالة الشبهات ، وبذا يدفــع عن الانسان كل ما يدعــوه الى الشك .

أما الأمور التى لا يستقل العقل بمعرفتها كعــذاب القبر ونعيمه والصراط والميزان والحشر والنشر والجنة والنار وما فيهما ، وغير ذلك من الأمور الغيبية فأن الرسول يعرف الانسان بها ، ليصح ايمانه وتتحدد مسئوليته ، ويلتزم بالترغيب ويبتعــد عن الترهيب .

كما أن فى بعثة الرسل ازالة للخوف الحاصل عند الانسان عند اتيانه بالحسنات أو تركه للطاعات ، لأنه يتصرف فى ملك الله بغير أذنه .

والرسل يعرفون العقل بالحسن والقبح فى الأشياء ، وبما يحسن من الأفعــال تارة ويقبح أخرى كما يعرفون بتفاصــيل ثواب المطــع ترغيبا ، وعقــاب العاصى ترهيبا[1] .

كما أنهم يعطون التفاصــيل الكاملة لــما قبحه العقل أو حسنه اجمــــالا .

---

(1) شرح المقاصــــد حـ ٢ ص ١٢٨ .

ويضعون قواعد العدل التى تحفظ النوع البشرى ، لأن العقل مهما أوتى من رجاحة فهو قاصر فى هذا المجال .

ثم أنهم بمجيئهم لا يتركون حجة لمقصر يتعلل بها أمام ربه عن نقصيره[2] .

يقول سبحانه وتعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل[3] .

بعثة الرسل اذن ضرورية للانسان ، ولهذه الضرورة قال المعتزلة والفلاسفة بوجوبها يقول سعد الدين التفتازانى (والحاصل ان النظام المؤدى الى صلاح حال النوع على العموم فى المعاش والمعاد لا يتكمل الا ببعثة الأنبياء فيجب على الله تعالى عند المعتزلة لكونة لطفا وصلاحا للعباد ، وعند الفلاسفة لكونه سببا للخير العام المستحيل تركه فى الحكمة والعناية الالهية)[4] .

ثانيا ــ الاشاعرة وحكم ارسال الرسل :

أما الأشاعرة فمع قناعتهم بضرورة ارسال الرسل الا أنهم لا يقولون بوجوب شىء على الله سبحانه وتعالى بأى معنى من معانى الوجوب بل له سبحانه أن يرسل وأن لا يرسل، وأن أرسل فإرساله تفضل وهبه وعطية ومنحة منه سبحانه وتعالى لبنى البشر .

أنه عز وجل خالق الكل والمالك والمتصرف فى أمورهم (ومن له

---

(٢) شرح مطالع الأنظار لشمس الدين الأصفهانى ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .
(٣) سورة النساء الآية ١٦٥ .
(٤) شرح المقاصد حـ ٢ ص ١٢٨ .

الأمر والخلق والملك له أن يتصرف فى عباده بالأمر والنهى ، وله أن يختار منهم واحـــدا لتعريف أمره ونهيه فيبلغ عنه اليهم)(٥) •

وقـــد علمنا أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام نفسى ، وكلامه ليس بالحروف والأصوات ولا بشكل من الأشكال ، به يكون الأمر والنهى والوعـــد والوعيد ، وقام الدليل على ذلك حينما تحـدث الغزالى عن صـــفة الـــكلام •

وعلمنا أنه متصف بالقـــدرة وقـــدرته سبحانه شاملة لكل شىء ، فبقـــدرته يخلق الحروف والأصوات التى تدل على كـــلامه النفسى ، وبقـــدرته وارادته يصطفى من خلقه من يحمله كلمة السماء ، ويأمره بتبليغها الى الناس ، ولكى يكون الرسول مصـــدقا عند بنى البشر فأنه تعالى يؤيده بأمور خارقة للعادة ويأمره بالتحـــدى ومع ثبات عجـــز من يتحـــداهم تثبت رسالته •

وليس فى أى أمر من الأمور السابقة أى استحالة واذا كنا لا نقول بالوجوب كما يقول المعتزلة وليس هناك استحالة فى الأمور السابقة اذن فارسال الرسل من الأمور الجائزة •

يقول الغزالى (وبرهان الجـــواز أنه مهما قام الدليل على أن الله تعالى متكلم ، وقام الدليل على أنه قادر لا يعجز على أن يدل على كلام النفس بخلق ألفاظ وأصوات ورقوم أو غيرها من الدلالات ، فقد قام دليل على جواز ارسال الرسل فانا لسنا نعنى به الا أن يقـــوم بذات الله تعالى خبر عن الأمر النافع فى الآخرة والأمر الضـــار بحكم اجراء العادة ويصـــدر منه فعل هـــو دلالة الشخص على ذلك الخبر

---

(٥) نهاية الاقـــدام للشهرستانى ص ٤٢٠ — ٤٢١ •

وعلى أمره بتبليغ الخبر ويصـــدر منه فعل خارق للعادة مقرونا بدعوى ذلك الشخص الرسالة فليس شىء من ذلك محالا لذاته)[٦] ٠

اذ أن ارسالهم ليس فيه افساد لتكليف ولا قلب للحقائق ولا الحاق نقص بالخـــالق[٧] ٠

ثم ان ورود التكليف بالايجاب والحـــذر والاطلاق والمنع ممن له الملك فى مماليكه ليس ممـــا تأباة العقول ولا ممـــا تدفعه الدلائل اذ لكل مالك ولاية التصرف ٠٠٠ ولله تعالى فى كل جزء من أجزاء العـــالم وشخص من أشخاص بنى آدم ملك التخليق ٠٠٠٠ فكان لـــه ان يتصرف فى كل ذلك بأى وجـــه شاء)[٨] ٠

ارسال الرسل بنـــاء على هـــذا فعل من أفعاله تعالى للدلالة على كلامه النفسى صادر عن قـــدرته وارادته وكل ما كان كذلك فانه يكون جـــــائزا[٨] ٠

ثالثا ــ المعتزلة وبعثـــة الرســـل :

المعتزلة يبنون رأيهم فى حكم بعثة الرسل على أصلين لهما ٠

الأول : هـــو القول بالتحسين والتقبيح العقليين وان كل ما حسنه العقل فقـــد أوجبـــه ٠

والثانى : هـــو القول بوجوب الصلاح والأصلح على الله سبحانه وتعـــــالى ٠

---

(٦) الاقتصـــاد فى الاعتقـــاد ص ١٦٥ ٠
(٧) التمهيـــد للباقـــلانى ص ١٢٩ ٠
(٨) تبصرة الأدلة لأبى المعين النسفى ص ٤٩٠ ٠

وبناء على هـذين الأصلين فقـد نظروا بعقولهم فى بعثة الرسل فوجـدوا أن العقل يحسنها ، لما فيها من مصالح لا تحصى لبنى البشر فى العاجل والأجل ، وكل ما حسنه العقل فقـد أوجبه اذن فبعثـه الرسـل واجبـه •

وان صلاح العباد فى بعثة الرسل ، فهم محتاجون لمن يعرفهم بأمور دينهم من عبادات ومعاملات وأخلاق وأوامر ونواهى ، بل هم فى حاجـة لمن يعرفهم بالأمور الغيبية كالجنة والنار وما بعـد الموت والبعث ، وهم فى حاجـة الى من يعرفهم بمـا يضرهم حتى يجتنبوه وبما ينفعهم حتى يفعلوه وبهـذا ينالون الثواب المقيم •

وكل ما كان فيه صلاح للعباد وأصلح لمعاشهم ومعادهم يجب على الله فعـله •

وبعثة الرسل كلها صلاح اذن هى واجبة على الله سبحانه وتعالى •

ولا يعنون بالوجوب الجبر وانما يعنون به أنه يمـدح فاعـله اذا فعـل ويذم اذا ترك •

يقول القاضى عبد الجبار (أنه تعالى اذا علم أن صلاحنا يتعلق بهـذه الشرعيات ، فلابد أن يعرفنا اياها لكى لا يكون مخلا بمـا هو واجب عليه)(٩) ولا يكون التعريف بالشرعيات التى هى صلاح للعباد الا من طريق الرسول وبهـذا يثبت وجوب ارساله •

ويقول أيضا (انه قـد تقرر فى عقـل كل عاقل وجـوب دفـع الضرر عن النفس ، وثبت أيضا أن ما يدعـو الى الواجب ويصرف عن

---

(٩) شرح الأصـول الخمسة ص ٥٦٣ •

القبيح فانه واجب لا محالة ، وما يصرف عن الواجب ويدعو الى القبيح فهو قبيح لا محالة ، اذا صح هذا ، وكنا نجوز أن يكون فى الأفعال ما اذا فعلناه كنا عند ذلك أقرب الى أداء الواجبات واجتناب المقبحات ، وفيها ما اذا فعلناه كنا بالعكس من ذلك ، ولم يكن فى قوة العقل ما يعرف به ذلك ويفصل بين ما هو مصلحة ولطف وبين ما لا يكون كذلك ، فلابد من أن يعرفنا الله تعالى حال هذه الأفعال كى لا يكون عائدا بالنقض على غرضه بالتكليف • واذا كان لا يمكن تعريفنا ذلك الا بأن يبعث الينا رسولا مؤيدا بعلم معجز دال على صدقه فلابد من أن يفعل ذلك ، ولا يجوز له الاخلال به ، ولهذه الجملة قال مشايخنا : ان البعثة متى حسنت وجبت)[10] •

الرد عليهم :

ويمكننا الرد على المعتزلة من خلال ابطال القول بالوجوب على الله سبحانه وتعالى وابطال القول بالتحسين والتقبيح العقليين ، والقول بالصلاح والأصلح •

يقول الغزالى (وقالت المعتزلة أنه واجب وقد سبق الرد عليهم)[11] •

فأن كان معنى الواجب كما يقولون هو ما يمدح فاعله على فعله ، ويذم على تركه • أو هو كما يقول القاضى عبد الجبار (ما اذا لم يفعله القادر عليه استحق الذم)[12] •

هذا المعنى مسلم فى حق الشاهد منا ، أما فى حق الغائب

---

(١٠) شرح الأصول الخمسة ص ٥٦٤ •
(١١) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٦٥ •
(١٢) شرح الأصول الخمسة ص ٣٩ •

وهـو الله سبحانه وتعالى فغير مسلم ، لأنه خالق الـكل ومالك الـكل وهـو المشرع ولا مشرع فوقـه يفعل ما يشاء ويختار ان أعطى فبفضله وان منـع فبعـدلـه .

أما اذا أرادوا بالواجب صـدور الفعل عنه لا محالة ، فهـذا يعنى الجبر ، وهـو نقص والنقص عليه سبحانه محال يقـول سبحانه (فعال لمـا يريد)(١٣) ويقول (انمـا أمره اذا أراد شـيئا ان يقول لـه كن فيكون)(١٤) .

وان كان مرادهم بالواجب ما كان فى تركه ضرر ظاهر فى العاجل أو الآجـل ، فأنه سبحانه وتعـالى منزه عن لحـوق الضرر به لأنه المـالك للـكل .

والقول بتحسين العقل وتقبيحه قـول باطل ، بل الحسن ما حسنه الشرع ، والقبيح ما قبحه الشرع ، اذ ان الحسن والقبح ليسا من الأمور الذاتية فى الأشياء والتى يتعرف عليها العقل كالسواد والبياض والطول والقصر ، ولا يستطيع أن يقول بضـدها حتى لا يتناقض (فلا يجوز ان يكون الشىء أسود فى حـق زيد أبيض فى حـق عمر لمـا لم تكن الألوان من الأوصـاف الاضـافية)(١٥) .

وانما هما — أى الحسن والقبح — من الأمور الاضافية فالصدق مـع الأعـداء أمر قبيح ومـع الأصـدقاء أمر حسن ، فلو كان الصدق حسنا لذاته ويعرف بالعقل لمـا تغير مـع الاضافة .

---

(١٣) سـورة البروج الآية ١٦ .

(١٤) سـورة يس الآية ٨٢ .

(١٥) الاقتصـاد فى الاعتقـاد ص ١٤٠ .

وقـد وضح لنا فيما سبق أن القول بوجوب الصلاح والأصلح عليه سبحانه وتعالى قـول باطـل .

يقول الغزالى (أنه تعالى لا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده بل له أن يفعل ما يشاء ويحكم بمـا يريد خلافا للمعتزلة فأنهم حجروا على الله تعالى فى أفعاله وأوجبوا عليه رعاية الأصلح)[16] .

واذا بطل القول بوجوب شىء عليه سبحانه ، والقـول بالتحسين والتقبيح العقليين والصلاح والأصلح بطل القول بوجوب ارسـال الرسل وثبت الجـواز .

رابعا ـ البراهمـة[17] وارسـال الرسـل :

أما البراهمة فيقولون باستحالة ارسال الرسل ويبنون رأيهم هـذا على قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين ، فما حسنه العقل فهو حسن يعمل به ، وما قبحه العقل فهو قبيح يبتعد عنه ، وما توقف فيه العقل يعمل به عند الضرورة اذا اقتضت الحاجـة ذلك ، ويترك عند انعدام الحاجـة ، ولهم عـدة شبه .

اولا ـ الشبهة الأولى :

بناء على رأيهم السابق فإنهم يقولون إذا جاء الرسول موافقاً لما جاء به العقل فقد أعنانا العقل ويكون إرسال الرسول عبثاً .

---

(16) الاقتصـاد فى الاعتقـاد ص ١٥٦ .

(17) البراهمة فرقـة من اشراف الهند يقال انهم ينتسبون الى ملك من ملوكهم القـدماء اسمه برهمى وفى قـول آخر ان نسبتهم الى رجل منهم يسمى براهم ولم يسموا بذلك نسبة الى سيدنا ابراهيم عليه السلام لانهم مـع قولهم بالتوحيد الا انهم ينكرون النبوات ـ الملل والنحل للشهرستانى جـ ٣ ص ٩٥ والفصـل لابن حزم جـ ١ ص ٦٣ .

واذا جاء مخالفا لما جاء به العقل يؤخذ بما جاء به العقل ويترك ما جاء به الرسول ، كما أنه يتعذر تصديق الرسول ، لأن وسيلة تصديقه هى العقل .

وفى كلتى الحالتين يكون ارساله عبثا ، والعبث على الله سبحانه وتعالى محال ، وما أدى الى المحال فهو محال اذن ارسال الرسل محال يقول الغزالى الشبهة الأولى لهم (قولهم أنه لو بعث النبى بما تقتضيه العقول ففى العقول غنية عنه وبعثة الرسول عبث وذلك على الله محال وان بعث بما يخالف العقول استحال التصديق والقبول)[18] .

الرد عليهم :

ويرد عليهم بأن العقل لا يدرك حسن الأشياء وقبحها وانمـه التحسين والتقبيح يكون بالشرع، فالحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع .

ثم ان العقول متفاوته فما يحسنه عقل شخص يقبحه عقل ثان ، ويتوقف فيه عقل ثالث . فالاعتماد عليها يؤدى الى التنازع والتقاتل وتصارع الأمم والشعوب ما كان الا بسبب اعتمادهم على العقل فقط .

وفى رده يقول الغزالى ان الرسول يأتى بما لا تستقل العقول بمعرفته ولكن تشتغل بفهمه اذا عرف ، فأن العقل يعجز عن المعرفة الحقيقية للضار والنافع وما يتصل بالعقائد وبخاصة الأمور الغيبية . والعبادات والأخلاق فاذا أوضح الرسول هذه الأمور فهمها العقل وصدق بها .

واذا كانت قرائن الأحوال تدل على صدق الطبيب فأن المعجزات تدل على صدق الرسول[19] .

---

(١٨) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٦٥ — ١٦٦ .
(١٩) الاقتصاد ص ١٦٧ .

ومع التسليم جدلا بالتحسين والتقبيح العقليين فأن الرسول اذا جاء موافقا لما قضى به العقل فان الحكم يقوى ، لاجتماع دليلين على مدلول واحد ، وليس فى هذا أى عبث اذ العبث هو ما لا فائدة فيه .

ومع تأكيد الحكم لا يكون هناك أى عذر لمكلف يقول تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[٢٠] .

وان جاء الرسول مخالفا لما قضى به العقل فأنه يوضح أوجه المخالفة وبذا يظهر الحكم الصحيح .

أما فيما توقف فيه العقل فان الرسول يظهر جانب الحسن فيه حتى يعمل به أو جانب القبح حتى يبتعد عنه أى انه يوضح ما قصر فيه العقل يقول سعد الدين التفتازانى (ان ما يوافق العقل قد يستقل بمعرفته فيعاضدة النبى ويؤكده بمنزلة الأدلة العقلية على مدلول واحد وقد لا يستقل فيدله عليه ويرشده وما يخالف العقل قد لا يكون مع الجزم فيدفعه النبى ... وما لا يدرك حسنه ولا قبحه قد يكون حسنا يجب فعله او قبيحا يجب تركه هذا مع أن العقول متفاوته فالتفويض اليها مظنة التنازع)[٢١] .

الشبهة الثانية :

يقولون ان ارسال الرسل مستحيل ، لأنه لا توجد وسيلة تجعلهم مصدقين عند الناس فاذا جاءوا لم يصدقهم أحد ، فيكون ارسالهم عبثا والعبث على الله محال فما أدى الى المحال فهو محال .

---

(٢٠) سورة النساء الآية ١٦٥ .
(٢١) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٢٩ .

فاذا قلتم ان الله سبحانه سوف يكلم الناس ويقول لهم صدقوا رسولى الفلانى ، فأن له سبحانه من باب أولى أن يأمر الناس وينهاهم مباشرة ، ويكلفهم بمـا يريد دون هـذه الواسطة التى هى الرسول ، ويبقى على هـذا ارساله فى دائرة الاستحالة لأنه عبث .

واذا قلتم أنه يظهر على يديه بعض الأمور الخارقة للعادة التى تسمونها معجزات لتكون بمثابة الدعوة الى تصديقه .

نقـول لكم أن هـذه الأمور الخارقة التى تظهر على يديه تتداخل مـع أمور خارقة أخرى مثل السـحر والشعوذة والطلسمات وبعض الغرائب ، وهـذا التداخل يضعف من الخوارق التى تظهر على يديه ممـا يؤدى الى استحالة تصـديقه .

يقول الغزالى حاكيا شبهتهم السابقة وقولهم أن بعثة الرسل أمر مستحيل (لأنه يستحيل تعريف صدقه لأن الله تعالى لو شـافه الخلق بتصديقه .... فلا حاجة الى رسول وان لم يشافه فغايته الدلالة على صدقه بفعل خارق للعـادة ولا يتميز ذلك عن السحر والطلسمات(٢٢) .... واذا استويا فى خرق العـادة لم يؤمن ذلك فـلا يحصل العلم بالتصـديق)(٢٣) .

الرد عليهم :

ويرد عليهم بأنه سبحانه وتعالى قضى ازلا الا يظهر للخلق حتى يصح ابتلاؤهم لأن من الابتلاء الايمان بالغيب يقول سبحانه (ألم .

---

(٢٢) الطلسم كما يقـول شرح المواقف حـ ٣ ص ١٨٧ عبـارة عن تمزيج القـوى السماويه الفعالة بالقـوى الأرضية المنفعلة وذلك ان القـوى السماوية اسباب لحـدوث الكائنات العنصرية ، ولحـدوثها شرائط مخصوصة بهـا يتم استعداد القابل ، فمن عرف احـوال الفاعل والقابل وقـدر على الجمع بينهما عرف ظهور آثار مخصوصة غريبة .

(٢٣) الاقتصـاد فى الاعتقـاد ص ١٦٦ .

ذلك الكتاب لا ريب فيه هـدى للمتقين • الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون • والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك عى هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)[٢٤].

ولو أنه سبحانه ظهر لهم لما كان هناك معنى للابتلاء وبالتالى لا يكون هناك معنى للثواب والعقاب ؛ ولكانوا مجبرين على كل شيء •

كما قضى أزلا الا يحاسب أحدا الا بعد ارساله للرسل يقول سبحانه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)[٢٥] •

ولكى يكون الرسول مصدقا عند الناس ، فأنه يؤيده بالمعجزات التى هى أمور خارقة للعادة خرقا حقيقيا بحيث لا يستطيع أحد الاتيان بمثلها أو بأقل من مثلها ؛ وليس للرسول فى هذه الخوارق سوى ظهورها على يديه ، تصديقا له فى دعواه أما الخالق والموجد والمظهر والفاعل الحقيقى لها فهو سبحانه وتعالى •

فتحول عصا موسى الى حية عظيمة أمام السحرة وبحضور جمع كبير من الناس بما فيهم الفرعون لم يكن الا معجزة من عند الله تؤكد صدق رسالته ، ولقد عرف السحرة ان ما ظهر على يد موسى لم يكن سحرا كسحرهم وانما هو فعل حقيقى من عند الله يقول سبحانه وتعالى (وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين •• قال نعم وانكم لمن المقربين •• قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين •• قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم •• وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك

---

(٢٤) سورة البقرة الآيات ١ — ٥ .

(٢٥) سورة الاسراء الآية ١٥ .

فاذا هى تلقف ما يأفكون .. فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ... فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين . وألقى السحرة ساجدين ... قالوا ءآمنا برب العالمين)(٢٦) .

وتصوير عيسى عليه السلام من الطين طيرا ثم نفخ الروح فيه وابراء الأكمة والأبرص واحياء الموتى وأنباء الناس بما يأكلون وبما يدخرون فى بيوتهم ، لم يكن لعيسى عليه السلام أى شىء سوى ظهور هذه الأمور على يديه بأذن ربه تصديقا له فى دعواه يقول سبحانه وتعالى .. (ورسولا الى بنى اسرائيل آنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرىء الأكمة والأبرص وأحى الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين)(٢٧) .

وانشقاق القمر واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل والأنباء عن بعض الأمور الغيبية بل والكثير من الأمور الخارقة التى ظهرت على يد رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى قمتها المعجزة الخالدة عبر كل الأزمنة القرآن الكريم كل هذه الخوارق ليس لسيدنا محمد أى شىء فيها سوى ظهورها على يديه بأمر ربه تصديقا له فى دعواه ، وافحاما لكل معاند مكابر يقول سبحانه (قل لئن اجتمعت الأنس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)(٢٨) .

ان كل ما ظهر على يد الأنبياء من خوارق هى أمور ربانية لا تأتى

---

(٢٦) سورة الاعراف الآيات من ١١٣ الى ١٢١ واقرأ الآيات من ٦٥ الى ٧٠ سورة طه .
(٢٧) سورة آل عمران الآية ٤٩ .
(٢٨) سورة الاسراء الآية ٨٨ .

بالتعليم والتعلم ، وليس فيها أى معنى للتخييل ، ولا لتركيب مادة على مادة بعد معرفة خواص كل واحدة منها ، ولا تنبنى على معرفة أسرار الكواكب وصلتها بالأرض •

أما السحر والشعوذة والطلسمات وغيرها فهى أمور عادية تأتى بالتعليم والتعلم • ثم أن المعجزات بالاضافة الى أنها أمور خارقة خرقا حقيقيا للعادة ، ويظهرها الله على يد مدعى النبوة للدلالة على صدقه فى دعواه ، فأنه سبحانه وتعالى يأمر رسوله أن يتحدى بها الغير ويكرر الرسول التحدى ويعطى المهلة تلو المهلة ، مع ظهور العجز التام من الغير عن مقابله التحدى بالتحدى •

أما السحر والشعوذة ومعرفة غرائب الطبيعة والطلسمات وغيرها فهى أمور يتسابق المتعلمون لها فى تحدى بعضهم للبعض الآخر •

وعلى كل فأن المعجزات تبقى دائما للدلالة على صدق الرسل ، بينما تبقى الأمور الأخرى فى دائرة ما يأتى بالتعليم والتعلم وهذا فرق لا يغيب على أى عاقل يقول الغزالى (فأما الشبهة الثانية وهو عدم تمييز المعجزة عن السحر والتخيل فليس كذلك فان أحدا من العقلاء لم يجوز انتهاء السحر الى احياء الموتى وقلب العصا ثعبانا وفلق القمر وشق البحر وابراء الأكمة والأبرص وأمثال ذلك ••• ومهما وقع الشك فيه لم يحصل التصديق به ما لم يتحد به النبى على ملأ من أكابر السحرة ولم يمهلهم مدة المعارضة ولم يعجزوا عنه)[٢٩] •

الشبهة الثالثة :

يقولون أن البعثة مستحيلة ، لأنها تتوقف على علم المبعوث ان المرسل له هو الله سبحانه وتعالى ، ولا سبيل الى ذلك ، اذ قد يكون مرسله أو محدثه هو الجن •

---

(٢٩) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٦٧ •

واذا تعـذر ان يعلم أن مرسـله هـو الله فلن يصـدق أنه رسول ، وبالتالى لن يدعـو أحـدا الى اتباع رسالة .

ثم أن ملاك الوحى الذى يأتى للرسول أن كان جسمانيا ، فيجب أن يكون مرئيا لكل من حضر أثناء وجوده وهـذا لم يحـدث .

وان كان روحانيا (كان القاء الوحى بطريق التكليم منه مستحيلا ، اذ لا يتصور للروحانيات كلام)(٣٠) .

واذا كان من المستحيل أن يعلم أن المرسـل هـو الله ، ولم ير كل أحـد الملاك فى صورته الجسمانية ، وكان من المستحيل أن تنطق الروحانيات بكلام دل هـذا كله على استحالة بعثة الرسل .

الرد عليهم :

ويرد عليهم : بأن الله سبحانه وتعالى متصف بالقدرة ، وقدرته شاملة لكل شىء ، فبقدرته سبحانه وتعالى يعلم رسوله علما ضروريا بأنه رسول بأن يقـذف فى قلبه ذلك بحيث يتأكد الرسول ان مرسله هـو الله .

ثم أنه سبحانه وتعالى يظهر على يدى الرسول أمورا خارقـة للعادة ، ويأمره بتحـدى الأنس والجن بها ، والرسول يعلم يقينا أنه ليس فى امكانه فعل مثل هـذه الأمور ، وحينما يعجز الأنس والجن عن الاتيان بمثلها ، يتأكد الرسول ان مرسـله حقـا هـو الله ، وان مظهر هـذه الخوارق على يديه هـو الله سبحانه اذن فلا طريق للاستحالة .

ففى مجال الاعجاز أنزل الله القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم وأمره بتحـدى الأنس والجن يقول سبحانه وتعالى (قل

---

(٣٠) شرح المواقف حـ ٣ ص ١٨٣ .

لئن اجتمعت الأنس والجن على ان يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)(٣١) ٠

ومع عجز الأنس والجن تأكد الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أى أحـد أنه رسول الله حقـا ٠

ثم ان ملاك الوحى جبريل عليه السلام رآه الصحابة فى صورة اعرابى عليه آثار السفر حينما جاء وجلس فى مقابلة الرسول ووضـع ركبتيه على ركبتى الرسول صلى الله عليه وسلم وراح يسأله عن الاسلام والايمان والاحسان والساعة ، وكلما أجاب الرسول عن سؤال يقـول جبريل صـدقت ممـا ادهش الصحابة وبخاصة عمر رضى الله عنـه الذى قال للرسول يا رسول الله عجبنا لهـذا الرجل يسأل ثم يقـول صـدقت فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (هـذا جبريل جاء يعلم النـاس دينهم)(٣٢) ٠

واذا كان الصحابة لم يروه فى كل مرة فهـذا المنع يرجـع الى قـدرته سبحانه لحكمة يعلمها هـو ٠

يقول شرح المواقف (ان المرسل ينصب دليلا يعلم به الرسول ان القائل له ارسلتك هـو الله تعالى دون الجن ، بأن يظهر الله لـه آيات ومعجزات يتقاصر عنها جميع المخلوقات ، وتكون مفيدة لـه ذلك العلم ، أو يخلق علما ضروريا فيه بأنه المرسـل ٠٠٠٠ وجاز أن يكون الملقى جسمانيا ولا يخلق الله رؤيته فى الحاضرين)(٣٣) ٠

---

(٣١) سـورة الاسراء الآية ٨٨ ٠
(٣٢) رواه البخـارى عن ابى هريرة ٠
(٣٣) شرح المواقف حـ ٣ ص ١٨٣ ٠

الشبهة الرابعة :

يقولون لو افترضنا أننا استطعنا التمييز بين المعجزة والخوارق الأخرى ، مثل الطلسمات والسحر وغير ذلك ، فأنه لا يلزم من تصديق الله للرسول بتأييده بالمعجزات صدق الرسول الا اذا علم عقلاً استحالة الكذب على الله سبحانه وتعالى ، ولم يعلم ذلك عقلا ، اذ لا يقبح عندكم منه شيء ، فهو الذى يحسن ويقبح وهو الذى يتصرف فى ملكه ولا آمر فوقه كما تقولون ، فلعله بتصديقه للرسول أراد اغواءنا واضلالنا ، ولعل كل ما أخبر به الرسول أنه يؤدى الى السعادة يؤدى الى الشقاوة ، وكل ما أخبر به أنه يؤدى الى الشقاوة فهو يؤدى الى السعادة (فان الاضلال والاغواء غير محال على الله تعالى عندكم اذ العقل لا يحسن ولا يقبح)(٣٤) •

الرد على الشبهة الرابعة :

ويرد عليهم بأن معرفة الرسالة والمعجزة ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسول تبين بوضوح أنه رسول حقا •

أما الرسالة فهى سفارة العبد بين الله تعالى وبين الناس ، لازاحة عللهم ، وتعريفهم بالأمور التى قصرت عنها عقولهم ، والتى تتصل بالدارين الدنيا والآخرة ، والسفير بين الله والناس هو الرسول ، وهذا الرسول لكى يكون مصدقا فأنه يؤيد من عند ربه بالمعجزات •

والمعجزات هى أمور خارقة للعادة ، يظهرها الله سبحانه على يد مدعى النبوة ، فى دار التكليف ، تصديقا له فى دعواه ، مع أمره سبحانه لرسوله بالتحدى ، وانعدام قدرة البشر عن المعارضة ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسول (أنها عند التحقيق بمنزلة

(٣٤) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٦٦ •

صريح التصـــديق ، لمـــا جرت العادة به من أن الله تعالى يخلق عقيبها العلم الضرورى بصـــدقه)[٣٥] •

فالرسول حينما يأتى ويقول أنا رسول الله اليكم ، ويسأله القوم أن يأتى بدليـــل على صـــدق رسالته ، فيقول دليلى أننى أفعـــل كذا بأمر ربى ولا تستطيعون أنتم أن تفعلوا مثل فعلى •

فاذا فعل ما قاله لهم واعلمهم بأن ما فعله ليس من عند نفسه وانما هـــو من عند الله سبحانه وتعالى ومع عجزهم عن التحـــدى يقع التصـــديق منهم ضرورة للرسول ، ويكون ما حـــدث هـــو بمثـــابة القول الصريح من الله سبحانه وتعالى بأن صـــدقوه فهو رسولى حقا ، وأنا أيدته بمـــا ترونه من أمور خارقة تعجزون عن معارضتها •

فالرسول بعـــد اتيانه بالأمر المعجز من عند ربه يحـــدث التصديق برسالته عادة اذن فالدلالة عادية •

وفرق بين الدلالة العقلية والدلالة العادية ، ان الدلالة العقلية لا تتخلف كدلالة الحـــدوث على المحـــدث ، ودلالة البناء على البانى ودلالة المصنوع على الصانع •

أما الدلالة العادية فأنها يمكن أن تتخلف ، فأن الأمر المعجز يدل على صـــدق الرسول ، وقـــد يحـــدث الأمر المعجز كأحياء الموتى وتحول العصا ثعبانا من فعل الله ابتداء ولا يوجـــد رسول •

يوضح الجوينى الفرق بين الدلالة العقلية والدلالة العادية بقوله (ان الحـــدوث لمـــا دل على المحـــدث لم يتصور وقوعه غير دال عليه

---

(٣٥) شرح المقاصـــد حـ ٢ ص ١٣١ •

— وهـذه دلالة عقلية وانقلاب العصا حية لو وقـع بدءا من فعل الله عز وجـل من غير دعوى نبى لـما كان دالا على صـدق مدع ، فقد خرجت المعجزات عن مضاهات دلالات العقول)(٣٦) ٠

اذا دلالة المعجزة على صـدق الرسول دلالة عادية ، وهى تتنزل منزلة التصـديق بالقول ويتضح هـذا الكلام بالمثـال الذى يذكره الجـوينى فى الارشاد ويذكره الغزالى بلفظ آخر ، ولنقتصر على ذكر المثال بلفظ الغزالى حتى لا يطول الكلام (لو تحـدى انسان بين يدى ملك على جنده أنه رسول الملك اليهم وأن الملك أوجب طاعته عليهم فى قبمه الأرزاق والاقطاعات فطالبوه بالبرهان والملك ساكت فقال آيهـا الملك ان كنت صادقا فيما ادعيته فصـدقنى بأن تقوم على سريرك ثلاث مرات على التوالى وتقعد على خلاف عادتك فقام الملك عقيب التماسـه على التوالى ثلاث مرات ثم قعـد حصل للحاضرين علم ضرورى بأنه رسول الملك قبل أن يخطر ببالهم أن هـذا الملك من عادته الاغـواء أم يستحيل فى حقه ذلك بل لو قال الملك صـدقت وقـد جعلت رسـولا ووكيلا لعلم أنه وكيل ورسول فاذا خالف العادة بفعله كان ذلك كقوله أنت رسولى وهـذا ابتداء نصب وتولية وتفويض ولا يتصور الكذب فى التفويض وانما يتصور فى الأخبار والعلم ويكون هـذا تصـديقا وتفـويضا ضروريا)(٣٧) ٠

هـذا فى الشاهد أما فى الغائب فان من يؤمن بوجود الله سبحانه وتعالى وباتصافه بكل صفات الكمال ومنها قـدرته الشاملة ، ويؤمن بأن ارسال الرسل من الممكنات عقلا الواقعة تحت قـدرته ٠

فانهم اذا جاءهم رجل وقال أنا رسول الله اليكم جئتكم لأخرجكم

---

(٣٦) الارشـــاد ص ٣٢٤ ٠
(٣٧) الاقتصـــاد ص ١٦٨ ٠

من الظلمات الى النور . ودليــل صــدقى أننى أعلم كما تعلمون ان الله يعلم سرنا وعلانيتنا • وأنا أطلب منه عز وجل لأنه مرسلى اليكم أن يؤيدنى أمامكم بأمور خارقة للعادة تعجزون عن الاتيان بمثلها •

ثم قال يارب ان كنت أنا رسولك حقا ، وكنت صادقا فى دعــواى فاقلب هــذه الخشبة حية تسعى ، فاذا انقلبت كما قال وأهــل الجمع عالمون بالله فحينئذ يعلمون على الضرورة أن الرب تعالى قصــد بابداع ما ابدع تصــديقه)[٣٨] •

والكذب مستحيل على الله سبحانه وتعالى باتفاق بين علماء الكلام •

ولـــا كنا فى الغالب نحصر الكلام بين المعتزلة والأشاعرة فاننـــا نوضح ان الكذب مستحيل على الله سبحانه وتعالى عند المعتزلة لوجهين •

الوجـــه الأول : أن الكذب قبيح عقلا ، وهـــو سبحانه وتعالى لا يفعل القبيح ، وهــذا بناء على قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين •

الوجـــه الثانى : أن الكذب منـــاف لمصلحة العالم ، وكل منـــاف لمصلحة العالم فيجب على الله تعالى الا يفعله ، وعلى هـــذا فان الكذب لا يقــع من الله ، لأنه لو وقــع الكذب فى كلامه لترتب على ذلك عــدم الثقة فى اخباره وفى قوله بأنه سيثيب أو يعاقب وفى كل ما يقــول عن الجنـــة والنـــار والحشر والنشر •

وفى هــذا تضييع لمصالح كثيرة كان يجب عليه ان يفعلها •

ولـــا كان الصلاح للعباد واجبا عليه فلا يجوز الاخلال به ، ولا يتم هــذا الا باستحالة الكذب عليه •

---

(٣٨) الارشـــــاد ص ٣٢٩ •

أما الأشاعرة فيقولون أنه يستحيل صـــدور الكذب من الله عــز وجــل . لأن الكذب نقص والنقص عليه محال ، ثم انه عز وجــل ليس فــوقه آمر ، ولا محاسب ولا سلطان لغيره عليــه وهــو يتصرف فى ملكه فمــا الذى يدعــوه اذا للكذب .

ثم ان وقــوع الكذب منه عز وجــل تعالى الله عن ذلك ، يجعل الانسان فى حالة صـــدقه أكمل من الله والقول بهـذا باطل .

ثم ان خبره عليه السلام بأن مرسله وهــو الله سبحانه وتعالى صـــادق .

وخبره بصــدقه انما يعلم بالضرورة من الدين .

وقــد تواتر عن الأنبياء جميعا كونه صادقا ، كما تواتر عنهم كونه تعــالى متكلمــا .

ولا معنى لمن يقول بالدور أى بتوقف صــدق النبى على صـــدق الله ، وتوقف صـــدق الله على صـــدق النبى ، لأن التصـــديق بالمعجزة تصـــديق فعلى لا قولى ، ودلالاتها على التصـــديق دلالة عادية لا يتطرق اليها شبهة(٣٩) .

ثم ان (الاحتمالات والتجويزات العقلية لا تنافى العلوم العادية الضرورية القطعية ، فنحن نقطع بحصول العلم بالصـــدق عقيب ظهور المعجزة من غير التفات الى ما ذكر من احتمالات)(٤٠) .

ولم ينكر أحــد صــدق رسل الله لهــذه الاحتمالات والتجويزات

---

(٣٩) شرح المواقف حـ ٣ ص ٨٥ .
(٤٠) شرح المواقف حـ ٣ ص ١٣٢ .

العقلية وانما اتجهت شبههم الى انكار المعجزات ، أو انكار وجود الله عز وجـل ، وكونه متكلما آمرا ناهيا ، مرسلا للرسل ، ومصـدقا لهم بالأمور الخارقـة للعـادة .

فمن اثبت وجود الله ، وكونه قادرا على كل شىء ، وبخاصـة تأييـده لمن يرسـله بالمعجزات يحصـل له العلم الضرورى بتصديق الرسول بعـد ظهور المعجزة على يديه مباشرة .

الكـــرامات

وفى آخر الدعوى السابقة يورد الغزالى استفهامين .

الأول : هـل الكرامات جائزة ؟

الثانى : هـل فى المقدور اظهار معجزة على يد كاذب ؟

وباستطاعتنا على ضوء ما ذكره الغزالى أن نوضح ما يلى :

أولا : تعريف الكرامة وبيان الفرق بينها وبين المعجزة .

الكرامة أمر خارق للعادة يظهره الله سبحانه وتعالى على يد ولى من أوليائه غير مقرون بدعوى النبوة .

ويلاحظ فى التعريف المذكور أنها تشترك مع المعجزة فى كونهمـا أمرا ، خارقا للعادة ، المظهر له فى الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى . الا أن الكرامة تظهر على يدى الولى من باب بيان قربه من الله ، وتكريمه سبحانه وتعالى له ، وتأكيد أن دين الرسول الذى يتبعه هـذا الولى هـو الدين الحـق .

بينما تظهر المعجزة على يد مدعى النبوة ، لتأكيد صدقه فى دعواه وحث النـاس على اتباعـه .

ويتوقف تعريف الكرامة عند هـذا الحـد • بينما يستمر تعريف المعجزة ليوضح تفردها عن غيرها من الأمور الخارقة وبخاصة الكرامة بمجموعة من السمات •

(أ) اقترانها بدعوى النبوة • بينما تخلو الكرامة من أى دعوى •

(ب) يؤمر صاحبها باظهارها • بينما يجتهد صاحب الكرامة فى اخفائها •

(جـ) يطالب بأن يتحدى القوم بالاتيان بمثلها أو ببعض من مثلها • بينما صاحب الكرامة لا يجرؤ على ذلك وربما كفر لساعته ان هو حاول أن يفعل •

(د) صاحب المعجزة مأمون من التبديل ومعصوم من الكفر • بينما صاحب الكرامة لا يامن على نفسه من تبديل حاله من الحب الى الكراهية ، ومن الايمان الى الكفر •

ومن الأمور الخارقة الاهانة والمعونة •

وتختلف الكرامة عن الاهانة ، فى أنها تظهر على يد مؤمن صالح ملتزم بمتابعة رسول الله •

أما الاهانة فهى أمر خارق يظهره الله سبحانه وتعالى على يد دعى كاذب ، ليكشف هـذا الأمر سره ، ويوضح كذبه امام الملأ ، كأن يدعى المتنبى أنه قادر على شفاء مريض معهود أمام الناس ، فيموت المريض فى الحال • أو يدعى انطاق الجماد ، فينطق فعلا بتكذيبه ، كأن يقول لا تصدقوه فانه كذاب •

أما المعونة فهى ظهور أمر خارق على يد رجل من عامة الناس لم

يعرف بينهم بالولاية ، كاستجابة دعـاء لمحـال أو تخليص من كارثة محققة ، وتكون لاظهار صلاحه[41] •

ثانيا ــ موقف المتكلمين من الكرامات :

ذهب الأشاعرة ما عـدا أبا اسحاق الأسفرائينى والحليمى منهم الى جـواز الكرامات عقلا ووقوعها فعلا •

أما المعتزلة ما عـدا أبا الحسين البصرى منهم فقد انكروا الجواز والوقـوع معـا •

واستدل الأشاعرة على الجـواز بقـولهم (ما من أمر يخرق العوائد الا وهـو مقـدور للرب تعالى ابتداء • ولا يمتنع وقـوع شيء لتقبيح عقـل لـما مهـدناه فيما سبق ، وليس فى وقـوع الكرامة ما يقـدح فى المعجزة ، فان المعجزة لا تدل لعينها ، وانما تدل لتعلقهـا بدعوى النبى الرسالة ، ونزولها منزلة التصديق بالقول)[42] •

فكل الخوارق والكرامة منها واقعة تحت قـدرة الله وكل ما كان كذلك فهـو جائز الوقـوع •

وليس هناك امتناع سببه التقبيح العقلى ، لمعرفتنا أن الحسن ما أمر به الشرع والقبيح ما نهى عنه الشرع •

ولا تداخل بين الكرامة والمعجزة ، يقلل من وقـع المعجزة ، لتفرد الأخيرة كما رأينا بخصائص عـدة •

ومن أدلة الجـواز أيضا : انها اذا لم تكن جائزة كان وقوعهـا محالا ، لكنها وقعت فـدل هـذا على الجواز •

---

(٤١) شرح المقاصـد ص ١٤٩ •
(٤٢) الارشـاد ص ٣١٩ •

ومن صور الوقوع الفعلى نذكر بعض الأمثلة :

١ ـ قصة الرجل الصالح آصف[٤٣] فانه أحضر عرش بلقيس لسليمان النبى قبل ارتداد الطرف • يقول سبحانه وتعالى (قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى ءأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم)[٤٤] •

ولا شك أن ما فعله آصف هو بكل المقاييس خرق للعادة ، ولم يكن نبيا ولا رسولا •

٢ ـ وقصة السيدة مريم ووجود فاكهة الصيف عندها فى الشتاء وفاكهة الشتاء عندها فى الصيف مما دفع زكريا عليه السلام الى سؤالها يقول سبحانه وتعالى :

(كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب)[٤٥] •

٣ ـ وقصة أصحاب الكهف الذين بقوا فى الكهف نياما ثلثمائة وتسعا من السنين ثم قيامهم بعد ذلك احياء دون أن يمسهم أى شىء والآيات فى سورة الكهف تحكى قصتهم بدءا من أول السورة الى قوله تعالى (ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا)[٤٦] •

---

(٤٣) وهو آصف بن برخيا وزير سليمان كان صديقا يعلم الاسم الأعظم اذا دعابه أجيب . وهذا هو المشهور عن ابن عباس . تفسير الفخر حـ ٢٤ ص ١٩٧ .

(٤٤) النمل الآية ٤٠ .

(٤٥) سورة آل عمران الآية ٣٧ .

(٤٦) سورة الكهف الآية ٢٥ .

٤ — وقصة عمر بن الخطاب ورؤيته وهـو واقف على المنبر بالمدينة ثم نداءه لقائد جيشه بنهاوند قائلا يا سارية الجبـل وسماع سارية له مـع البعـد الشاسع بين المدينة ونهاوند(٤٧) •

ولا معنى للقول بأن ما حـدث من آصف الذى عنده علم من الكتاب واتيانه بعرش بلقيس انمـا هـو معجزة لسليمان •

ولا للقول بأن ما حـدث لمريم انمـا هـو ارهاص أى تأسيس لنبوة عيسى •

ولا للقول بأن قصة أصحاب الكهف انمـا هى معجزة لنبى فى عصرهم وذلك (لأن سياق القصص يدل على أن ذلك لم يكن بقصـد تصـديقهم فى دعـوى النبوة ، بل لم يكن لزكريا علم بذلك ، ولهـذا سأل ، ونحن لا ندعى الا جـواز ظهور الخوارق من بعض الصالحين ، غير مقرونة بدعوى النبوة ولا مسوقة لقصـد تصديق لنبى)(٤٨) •

أدلـة للمنـكرين والرد عليهـا

أولا : يقولون ظهور الخوارق على يد الولى كرامة له يؤدى الى التباس المعجزة بالكرامة ، ممـا يفوت الغرض من الاعجاز وهـو بيـان صـدق الرسـول •

ويرد عليهم ببيان الفرق بين المعجزة والكرامة ، فأن المعجزة كما رأينا مقرونة بدعوى النبوة ، كما أن النبى مأمور بالتحـدى بهـا

(٤٧) شرح مطـالع الأنظـار ص ٢١٤ .
(٤٨) شرح المقاصـد حـ ٢ ص ١٥٠ .

وليس كذلك الكرامة وصاحب المعجزة يظهرها بينمـــا يجتهد صاحب الكرامة فى كتمانهـا •

ثانيا : انها لو ظهرت لكثرت كثرة الأولياء ، ومع كثرتها تخرج عن كونها خارقـة للعـادة •

ويرد عليهم : بأن قـدرة الله تعالى ليس لهـا حـد ، فبقدرته عز وجـل يظهر الخوارق المتعـددة على يد أوليائه ، ومع كثرتها تظل خارقـة للعـادة •

ثالثا : ان الخوارق لو ظهرت لا لغرض التصـديق فأن هـذا يؤدى الى انسداد باب اثبات النبوة بالمعجزة ، لاحتمال ظهور المعجزة لا لتصـديق •

ويردعليهم : بأن المعجزة تكون مقرونة بدعوى النبوة ممـا يفيد التصـديق قطعـا •

رابعا : أن مشاركة الأولياء للأنبياء فى الخوارق يقلل من شـأن الأنبياء ويضعف من قـدرهم عند الناس •

ويرد عليهم : بأن الولى هـو تابع ومصـدق لنبى ، وهـذا يرفع من شأن النبى المتبوع ويعلى من قـدره ويزيد الناس فى الرغبة فى اتباعه لتأكدهم بدليل المعجزة أنه على حـق ، وبدليل كرامة الولى التابع لهـذا النبى(٤٩) •

خامسا : لو ظهرت الخوارق على يد الأولياء أو غيرهم لا لتبس أمر النبى بالمتنبى ، اذ ان الكل مشترك فى الانسانية ولا يتميز النبى الا

(٤٩) شرح المقاصـد حـ ٢ ص ١٥١ .

بالمعجزة التى هى أمر خارق فلو جاز ظهور الخارق على غيره لما كان هناك تمايز ويتعــذر معرفة من هو على حق ومن هو على باطل •

ويرد عليهم : بأن النبى يتميز عن غيره بدعوى النبوة والتحــدى بالمعجزة مع عــدم القــدرة على المعارضة •

وفى نهاية الدعوة السابعة يطرح الامام الغزالى سؤالا (فان قيل فهل من المقــدور اظهار معجزة على يد كاذب)([٥٠]) •

ويمكن تعــديل طرح السؤال ليكون هكذا ، هل فى المقدور اظهار أمر خارق للعادة على يد كاذب ؟ وما كان هــذا التعــديل الا لأن المعجزة هى خاصة بالنبى وتكون من عند الله سبحانه وتعالى لتصديقه مــع اقترانها بالتحــدى ودعــوى الرسالة وهى نازلة منزلة قــوله تعالى لمدعى النبوة صــدقت وأنت رسولى حقا •

وكونها خاصة بالنبى يمنع من ظهورها على يد غيره سواء أكان صادقا أم كاذبا • فلو افترضنا جــدلا أنها تقع للكاذب وتصــــديق الكاذب محال لذاته ، فمعنى هــذا ان الله تعالى قال له أنت رسولى وهــذا يخرجه عن كونه كاذبا ، مع تحقق كونه كاذبا وهــذا تناقض (لأن معنى كونه كاذبا أنه ما قيل له أنت رسولى ومعنى المعجزة انه قيل له أنت رسولى •••• فاستبان ان هــذا غير مقــدور لأنه محال والمحال لا قــدرة عليــه)([٥١]) •

أما الاجابة على السؤال بعــد التعــديل فأن ظهور الأمر الخارق للعادة على يد الكاذب جائز ، ويكون لاظهار كذبه وذلك كأن يدعى

---

(٥٠) الاقتصـــــاد ص ١٧٠ .
(٥١) الاقتصـــــاد ص ١٧٠ .

المتنبى (ان الله تعالى يخرج له من جوف الحجر أسدا يفترس منكر نبوته ، فيخرج الله تعالى أسدا يفترس ذلك المدعى)(٥٢) •

ونخلص الى القـول باستحالة ظهور المعجزة على يد الكاذب لأن تصـديق الكاذب محـال •

بينما يجوز ظهور الأمر الخارق للعادة على يد الكاذب اهـانة وتكذيبا له فيما يدعيـه •

---

(٥٢) اصـول الدين ص ١٧٣ •

امتدادا للرسالات السماوية ولسنة الله فى خلقه ، جاء محمد صلى الله عليه وسلم برسالة الى كل بنى البشر •

ادعى أنه رسول اختصه الله سبحانه وتعالى برسالة خاتمة ومهيمنة على الرسالات قبله ، ومكملة وناسخة لبعض الأحكام • بعث للبشرية على حين فترة من الرسل بعد أن اشتد الظلم والظلام ، وراح الناس فى غياهب الوثنية يتخبطون ، وبالشرائع الانسانية المصطنعة والتى لا هدف لها الا تكريس ظلم الانسان لأخيه الانسان يتعاملون •

ولقد كانت أهم السمات التى يتسم بها العالم قبل المبعث :

١ ــ صراع دموى رهيب بين دولة الفرس الوثنية فى عقائدها ودولة الروم المتشدقة بعقائد المسيح عليه السلام ، والمسيح وعقائده برىء من كل تخرصاتهم وأكاذيبهم •

٢ ــ فتن دامية وراءها اليهود الذين لم يتخلصوا لحظة واحدة من ماديتهم وأضاليلهم ، حتى وهم مع رسول الله موسى وهارون عليهما السلام ، ولم يكتفوا بالتحريف والتزييف فى دينهم ، بل انقض بولس ــ والمعروف بشاول وهو منهم ــ على النصرانية ليحولها الى ديانة وثنية تقول بالثالوث والعشاء الربانى والصلب وصكوك الغفران وغير ذلك •

٣ ــ ومع الوثنية بصورها المختلفة ، واليهودية البعيدة عن تعاليم موسى وهارون والملتصقة بالتراب فى كل حركتها ، واللاقمة للبشرية

السم الزعاف • والمسيحية البوليسية التى وطأت كل جميل سمح جاء به عيسى عليه السلام • مع هؤلاء كان الشرك بعتوه وجبروته •

٤ ـ ونشأ عن هـذا التشكيل الرهيب ظلام دامس ، فلا العقيدة الهية ولا الشريعة الهية •

واذا كانت المقـدمات فاسدة فماذا ينتظر العالم ، لقـد نسـوا الله جميعا فأنساهم أنفسهم ، راحـوا يتخبطون فى عنف فعبـدوا البقر والحجر والنار والشمس والقمر وادعـوا أن عزير بن الله والمسيح ابن الله بل قالوا (ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر)(١) • وقالوا استكبارا وعتوا (ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقـا جـديدا)(٢) •

نزعوا من قلوبهم كل جميل فلم يبق الا العصبيات العمياء التى تدفعهم للقتل ، والتى تجعل دائما البقاء للأقـوى ؛ لا الأقـوى فى انسانيته بل الأقـوى فى حيوانيته وهمجيته •

ودفعتهم الحيوانية والهمجية الى الخمر والميسر والربا ووأد البنات والضياع النفسى والخلقى •

كانت هـذه هى حالة العـالم •

وجاء محمد صلى الله عليه وسلم ليقول للناس أنا رسول الله اليكم اصطفانى ربى من بينكم ليخرجكم من ظلمـات الجهالة والشرك الى نور العـلم والتوحيـد •

هـذه هى دعوى محمد والسؤال هـل ما ادعاه صلى الله عليه

---

(١) سـورة الجاثية الآية ٢٤ •
(٢) سـورة الاسراء الآية ٤٩ •

وسلم فى حيز الامكان أو هو من الأمور المستحيلة ؟ • ان واقع الرسالات السماوية قبله يؤكد أن دعواه من الأمور الممكنه •

فلقـــد قضت حكمته أزلا ألا يحاسب أو يعـــذب الا بعـــد ارسال الرسل يقول سبحانه (وما كنا معـــذبين حتى نبعث رسولا)(٣) •

والعقل مـــع أنه أبهى ما خلق الله سبحانه الا أنه قاصر عن معرفة كثير من الأمور وبخاصة تلك التى تتصل بخلافة الانسان على الأرض وبمسئوليته •

وحتى تصـــح مسئولية الانسان ، وحتى لا يتظلم أو يتعـــلل بقصور عقله أرسل له ربنـــا الرسل يقول سبحانه (لئلا يكون للناس على الله حجـــة بعـــد الرسل)(٤) •

ولقـــد كان مجىء الرسل فى تتابع عبر الأزمنة المـــاضية وفقـــا لسنة الله سبحانه وتعالى فى كونه يقول عز وجل (ثم أرسلنا رسلنا تترى)(٥) • ويقول عز وجل (وان من أمة الا خلا فيها نذير)(٦) •

وانتهى التتابع وختم بدعـــوته صلى الله عليه وسلم وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ومكمل للدين يقول سبحانه (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)(٧) ويقول (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)(٨) •

---

(٣) ســـورة الاسراء الآية ١٥ .
(٤) ســـورة النســـاء الآية ١٦٥ .
(٥) ســـورة المؤمنـــون الآية ٤٤ .
(٦) ســـورة فاطـــر الآية ٢٤ .
(٧) ســـورة الأحـــزاب الآية ٤٠ .
(٨) ســـورة المـــائدة الآية ٣ .

وقـد نقل ادعاؤه النبوة بالتواتر الذى يجعله فى كل زمن كأمر واقع مشاهد • ومع دعواه النبوة أتى بمعجزات خارقة للعادة من عند ربه وتحدى القوم بها وأمهلهم وحرضهم ولم يستطع أحد أن يعارضه •

وكل من ادعى النبوة ، وكانت دعواه فى حيز الامكان ، وأتى بأدلة الهية على صدق دعواه فهو رسول من عند الله • اذا محمد صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله (والدليل عليـــه أنه ادعى النبوة وظهرت المعجزة على يده وكل من كان كذلك كان رسولا حقا)(٩) •

لقـد كان صلى الله عليه وسلم أميا لا يعرف القراءة أو الكتابة ، ولم تكن أميته عيبا فى ذاته ، وانما لحكمة أرادها سبحانه حتى يدفع عنه تشكيك المشككين واغراقهم فى الأباطيل يقول سبحانه (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لأرتاب المبطلون)(١٠) •

ولم يعرف عنه فى ماضيه الا الأمانة والصـدق والعفاف والطهر والوفاء والشجاعة والزهـد والصبر ، والابتعاد كلية عن الشرك الذى يتخبط فيه بنو قومه من القرشيين •

كما لم يعرف عنه قط التردد على الاحبار أو الرهبان أو التطلع للتسيد أو الاشتغال بالسحر أو الشعر •

ولم يخرج الا فى سفرتين احـداهما وهو صغير والأخرى بعـد سن العشرين فى تجارة الى الشام •

وكان يحلو له أن يخلو بنفسه مع ربه فى غار حراء وظل كذلك الى أن بلغ سن الأربعين •

---

(٩) اصـول الدين للفخر الرازى ص ٩١ •
(١٠) سـورة العنـكبوت الآية ٤٨ •

وذات يوم وهـو فى غار حراء يناجى ربه أتاه ملاك الوحى جبريل ليعلمه بأنه مصطفى ومختار لتحمل كلمة السماء .

ومن يومها بدأت رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبدأ تتابع نزول القرآن الكريم .

والقرآن الكريم هـو المعجزة الخالدة الباقية عبر كل الأزمنـة والتى تحـدى بها محمد صلى الله عليه وسلم العرب الخلص ، وتركها شاهد صـدق على صحة رسالته الى أن تقوم الساعة .

فما هى أوجه الاعجاز فى القرآن الكريم ؟

من أوجـه الاعجاز فى القرآن الكريم :

عرفنا فيما سبق أن معجزة أى رسول تأتى فى الغالب من ناحيـة الظاهر شبيهة من بعض الوجوه بما يشتغل به القوم ، الا أنهـا فى الحقيقة من الأمور الالهية التى تخرق العادة ، ويعجز بنو البشر عن الأتيـان بمثلها ، وتكون تصديقا من الله سبحانه وتعالى لرسـوله أمام النـاس .

وللتذكير فقط فلقـد كان النـاس فى عصر موسى عليه السـلام يشتغلون بالسحر ، ويتنافسون فيما بينهم به .

ثم جاء موسى عليه السلام بأمور خارقة للعادة تشبه فى الظـاهر ما عليه القوم ، لكنها فى الحقيقة ليست من جنس ما عليه القوم حيث ألقى عصاه فاذا هى حية تسعى ، وأدخل يده فى جيبه وأخرجها بيضاء كاللؤلؤ ، وضرب بعصاه الحجر الأصم فتفجرت منه اثنتا عشرة عينا من المـاء .

وفى عصر عيسى عليه السلام اشتهر القوم بالطب فجاءهم عيسى بمعجزات تشبه فى الظاهر ما هم عليه ، لكنها فى الحقيقة ليست من جنس ما هم عليــه .

فلقــد ابرأ الأكمة والأبرص واحيا الموتى باذن الله ، وأنبــأ القــوم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم .

وبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لكل بنى البشر ، وكان ظهوره من وسط قريش فى قلب مكة المكرمة ، حيث كان الغالب على القوم التفاخر فيما بينهم بالفصاحة والبلاغـة والتسابق فى اقراض الشعر ، والقصيدة التى تحوز على اعجاب الجميع ، لاكتمال كل مقوماتها ، وبزها لغيرها من القصائد ، يعلقونها على أستار الكعبة المشرفة ولقــد سميت تلك القصائد بالمعلقات .

وبينما القوم فى تنافسهم وتناحرهم وتفاخرهم ، وعلى غير توقع منهم اذ بمحمد صلى الله عليه وسلم المعروف بأميته فيما بينهم والمنصرف كلية عما يدفعهم للتناحر والتفاخر ، اذ به يخبرهم بأن الله ســبحانه وتعالى اصطفاه ليبلغ رسالته الى العرب خاصة والى الناس عامة . وحينما سألوه الدليل على صــدق رسالته ، أعلمهم أن دليله ومعجزته كتــاب الله القرآن الكريم ، وتحــداهم ان يأتوا بحــديث مثله يقول ربنا سبحانه وتعالى (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين)(11) فلمــا عجزوا وهم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان تحــداهم ان يأتوا بعشر سور من مثله يقول سبحانه (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)(12).

---

(11) ســورة الطــور الآيتــان ٣٣ ، ٣٤ .
(12) ســورة هــود الآية ١٣ .

ومع عجزهم عن المعارضة ، تحـداهم أن يأتوا بسورة واحـدة ، ومع التحدى أعلمهم أنهم لن يستطيعوا ، ولـو كان فى قـدرتهم أن يعارضوا لكذبوه فى الحال يقول سبحانه وتعالى (وان كنتم فى ريب ممـا نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين • فأن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النـار التى وقودها الناس والحجارة اعـدت للكافرين)(١٣) •

لقـد فتح الباب أمامهم ، وطالبهم ان يكذبوه واستمر فى تحديهم ، وكلما نسوا ذكرهم وحرضهم وهم أهـل حمية ، يحملون السيف لأتفه الأسباب ، فلم يستطع واحـد منهم أن يعـارض ولـو عارض لظهرت المعارضة لتوفر الدواعى يقول سبحانه (قـل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)(١٤) •

ويمكن ايجاز أوجه الاعجاز فى القرآن الكريم فيما يلى :

١ ــ على الرغم من أنه مكون من حروف وكلمات يستخدمها العرب فى أحاديثهم وأشعارهم وخطبهم الا أنه يختلف عمـا عهـدوه ، فنظمه غريب وأسلوبه عجيب ، وبخاصـة فى أوائل السور وأواخرها ، وعرضه لقصص الأمم والأنبياء والأمثال الكثيرة •

ومع أن قريشا من أفصح العرب وأقدرهم على معرفة سائر دروب الكلام من شـعر أو نثر أو خطابه أو قصص ، الا أنهـا حارت فى نظم القرآن وطاش عقلهـا فيما أتى به ، وتخبطت فى تفسيرات تهاجم بهـا شخص الرسول ، وما أنزل عليه ، وهى كلها تفسيرات تؤكد عجـزهم وافتراءهم وكذبهم يحكى القرآن الكريم قولهم •

---

(١٣) سـورة البقـرة الآيتـان ٢٣ • ٢٤ •
(١٤) سـورة الاسراء الآية ٨٨ •

(بل قالوا اضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر)[١٥] ويرد عليهم سبحانه وتعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هــو الا ذكر وقرآن مبين)[١٦] • كما يحكى قولهم (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا)[١٧] • ويرد على افترائهم بقوله (قــل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفورا رحيما)[١٨] •

كما يذكر توليهم عن محمد صلى الله عليه وسلم واتهامهم له بأنه معلم من الغير أو هــو مجنون يقول سبحانه (انى لهم الذكرى وقــد جاءهم رسول مبين • ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون)[١٩] •

لقــد كان لكفار مكة على أثر نزول القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم قــولان :

الأول : ان محمدا يتعلم هــذه الكلمات من بعض الناس ، وقــد سموا فيمن سموا من المعلمين سلمان الفارسى ورد عليهم سبحانه بأن لسان من يدعونه أعجمى أما لسان محمد فهو عربى فصيح يقول سبحانه (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسن الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين)[٢٠].

الثانى : ان محمدا مجنون والجن يلقون عليه كلمات القرآن يقول سبحانه (وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون)[٢١] •

---

(١٥) ســـورة الأنبيــاء الآية ٥ .
(١٦) ســـورة يس الآية ٦٩ .
(١٧) ســـورة الفرقـــان الآية ٥ .
(١٨) ســـورة الفرقـــان الآية ٦ .
(١٩) ســـورة الدخـــان الآيتـــان ١٣ ، ١٤ .
(٢٠) ســـورة النحـــل الآية ١٠٣ .
(٢١) ســـورة الحجـــر الآية ٦ .

ومع ثبوت عجزهم يعلم (ان ما اتى به ليس من جنس الحـــذق والتقـــدم فى الصناعة فى شىء)(٢٢) وان الله سبحانه وتعالى هـــو الذى أنزل القرآن على هـــذا النظم ليكون معجزة لمحمد صلى الله عليـــه وســــــلم .

٢ — ومن أوجه الاعجاز أنه فى الدرجة العالية من الفصـــــاحة والبلاغة والبيان (وانما يكون الكلام فصيحا لجزالة لفظه وحسن معناه ولابد من اعتبار الآمرين ، لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى لم يعـــد فصـــيحا)(٢٣) .

والمتخصص فى هـــذه الأمور هـــو الذى يؤكد اشتمال القرآن على الأطناب والايجاز وضروب التأكيد وأنواع التشبيه والاستعارة بنوعيها (وحسن المقاطع والمطالع والفواصل والتقـــديم والتأخير والفصـــل والوصل وخلوه عن اللفظ الغث والشاذ .... بحيث لا يرى المتصفح له .. المميز بين فنون البلاغة نوعا منها .... الا وجـــده فيـــه أحسن ما يكـــون)(٢٤) .

٣ — ومع طوله وامتداده من أول سورة الفاتحة الى آخر سورة الناس ، وكثرة آياته ، خلا تماما من الاختلافات والتناقض يقول سبحانه وتعالى(ولو كان من عند غير الله لوجـــدوا فيه اختلافا كثيرا)(٢٥) .

٤ — وقـــد أخبر القرآن الكريم عن أمور غيبية حـــدثت بعـــد ذلك على وفق ما أخبر ، وهـــذا يؤكد أنه من عند الله العليم الخبير . مثال ذلك تنبأ بقصة الصراع بين الحق المتمثل فى محمد صلى الله عليه

---

(٢٢) التمهيـــد للباقـــلانى ص ١٧١ .
(٢٣) المنية والأمل للقـــاضى عبد الجبار ص ١٢٢ .
(٢٤) شرح المواقف جـ ٢ ص ١٩٢ .
(٢٥) ســـورة النســـاء الآية ٨٢ .

وسلم وأصحابه ، والباطل المتمثل فى قريش وقتها ، واضطراره صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى الهجرة من بلده الأمين مكة المكرمة الى المدينة ، ثم عودته بعد ذلك فاتحا منتصرا يقول سبحانه (ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد)(٢٦) أ ى الى مكة روى ذلك عن عكرمة عن ابن عباس ومن طريق آخر عن محمد بن اسحاق عن مجاهد ومن طريق مقاتل عن الضحاك(٢٧) .

وتنبأ باحتدام الصراع وقيام معركة بدر بين قوى الشرك وقوى التوحيد ، وانهزام القوى الأولى وارتفاع راية التوحيد يقول سبحانه (سيهزم الجمع ويولون الدبر)(٢٨) عن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية الكريمة قال عمر بن الخطاب أى جمع يهزم ؟ فلما كان يوم بدر رأى عمر الرسول صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع وهو يردد (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فقال عمر الآن عرفت تفسيرها(٢٩) .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن هزيمة الروم ، وهى الدولة التى يتعاطف معها المسلمون ، لكون أهلها من أهل الكتاب ، وأخبر أنهم بعد بضع سنين — والبضع ما دون العشر — سيحققون النصر على الفرس ، وهم عباد أوثان يتعاطف معهم من على شاكلتهم من مشركى قريش .

ثم ختمت الآيات ببشارة للمؤمنين بأن الصراع المحتدم بين الفرس والروم سيؤدى الى اضعافهما معا ،وهذا يمهد لارتفاع راية الاسلام عالية خفاقة على اطلال الدولتين .

---

(٢٦) سورة القصص الآية ٨٥ .
(٢٧) تفسير ابن كثير مجلد ٣ ص ٤٠٢ .
(٢٨) سورة القمر الآية ٤٥ .
(٢٩) تفسير بن كثير المجلد الرابع ص ٢٦٦ .

ولقـد تحقق ما قاله القرآن الكريم يقول سبحانه (ألم • غلبت الروم • فى أدنى الأرض وهم من بعـد غلبهم سيغلبون • فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعـد ويومئذ يفرح المؤمنون • بنصر الله ينصر من يشاء وهـو العزيز الرحيم)(٣٠) •

وقـد تنبأ بأن المسلمين سيدعون الى قتال قوم أصحاب قوة يقول سـبحانه (قـل للمخلفين من الاعراب سـتدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون)(٣١) ويرى بعض المفسرين أن القوم هم بنـو حنيفة قـوم مسيلمة الكذاب ، وقـد دعا أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى قتالهم • ويرى البعض الآخر أن القوم هم الفرس والروم وقـد دعا الى قتالهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويرى البعض وهـو رأى ضعيف أن القوم هم هوازن وثقيف وقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الى قتالهم(٣٢) •

٥ ـ وفى القرآن الكريم الكثير من الاشارات العلمية ، ففيـه الدعوة للتفكر والتأمل فى الـكون ، ومعرفة مكنوناته وما يخضع له فى كل جزئياته من نظام واحكام وقوانين معقده ، وصولا الى الخـالق العظيم يقول سبحانه (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب)(٣٣) أى لأدلة قـوية لأصحاب العقول النيرة ويقول عز وجـل (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحـق)(٣٤) •

---

(٣٠) سـورة الروم من ١ الى ٥ .
(٣١) سـورة الفتـح الآية ١٦ .
(٣٢) تفسير الفخر الرازى المجلد الرابع عشر حـ ٢٨ ص ٩٢ .
(٣٣) سـورة آل عمـران آية ١٩٠ .
(٣٤) سـورة فصـلت آية ٥٣ .

وفى كل يوم يكشف العلم الحديث عن أسرار جديدة فى الكون تؤكد وجود المنظم والمتقن والخالق سبحانه •

فقد أثبت العلم أن عالم الفضاء الرحب به مليارات من الكواكب والنجوم تتحرك بنظام كامل ، وتحكمها قوانين صارمة ، وفى القرآن الكريم اشارة واضحة لهذا العالم الغامض يقول سبحانه (فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم)(٣٥) •

والأرض لها كتلتها ومساحتها المحدده بلا زيادة ولا نقص ؛ ولها جاذبيتها المعروفة والتى تساعد كل حى على الحركة والتوازن ؛ وأى زيادة أو نقص يؤدى لاختلال الكل ، ثم لها حركتها حول نفسها التى ينجم عنها الليل والنهار ، وحول الشمس التى ينجم عنها الفصول الأربعة ولها غلافها الغازى الذى يمد الأحياء عليها بالغازات اللازمة لاستمرار حياتهم ، ويمنع من وصول الشهب والنيازك ملتهبة الى سطحها ، ولها غلافها الجوى الذى يجعل كل أرجائها صالحا للحياة •

ثم بعدها عن القمر بمسافة محددة لا تزيد ولا تنقص ، ليستمر المد والجزر فى البحار والمحيطات والأنهار، ومع استمرارهما تستمر الحياة.

وبعدها عن الشمس أيضا بمسافة محددة بحيث لو اقتربت قليلا لاحترق كل شىء عليها ، ولو ابتعدت قليلا لتجمد كل شىء عليها •

ومع التزاحم العجيب بين العناصر المختلفة يبقى النيتروجين بنسبة ٧٨٪ والأكسجين بنسبة ٢١٪ ليكونا مع بخار الماء الهواء الذى هو ضرورى لاستمرار الحياة •

---

(٣٥) سورة الواقعة الآيتان ٧٥ ، ٧٦ •

ثم هـذا التنوع الغريب الذى يرى على سطحها ويستخرج من باطنها من معادن ونباتات وحيوانات وغير ذلك يقول سبحانه فى اشارة علمية واضحة (وفى الأرض آيات للموقنين)(٣٦) • والانسان ذلك العالم المجهول الجنبات ، والموسوعة العلمية المتنوعة الاتجاهات يقول فى حقه تعالى فى اشارة واضحة (وفى أنفسكم أفلا تبصرون)(٣٧) •

وقصة الانسان منذ البدء وحتى النهاية ، من أين والى أين ولـماذا ؟ فى وضـوح كامل نجـدها فى القرآن الكريم •

٦ — ومن وجوه الاعجاز فى القرآن الكريم اشتماله على كل ما يحقق للانسان ان أراد السعادة والأمن فى الدنيا والفوز برضوان الله فى الآخرة ففيه العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق •

٧ — وفيه قصص الأمم السابقة وموقفهم من الأنبياء ، كما أن فيه العظات والعبر وهـو مشتمل (على دقائق العلوم الالهية وأحوال المبدأ والمعاد ، ومكارم الأخلاق ، والارشاد الى فنون الحكمة العلمية والعملية والمصالح الدنيوية والدينية على ما يظهر للمتدبرين)(٣٨) •

٨ — ومن العلماء من يقول ان من وجـوه الاعجاز فى القرآن الصرفة ، فهو بلغة العرب ، والدواعى لديهم متوفرة لمعارضته ، واديهم العلوم التى بها يحاولون المعارضة ، لكن الله سبحانه وتعالى عجزهم بأن صرف هممهم عن المعارضة ، وسلبهم العلوم التى بها يعارضون القرآن وهـذا يؤكـد أنه من عند الله سبحانه وتعالى اذ أن (الصرف عن المقـدور المعتاد من أعظم المعجزات)(٣٩) •

---

(٣٦) سـورة الذاريات الآية ٢٠ .
(٣٧) سـورة الذاريات الآية ٢١ .
(٣٨) شرح المقاصـد جزء ٢ ص ١٣٥ .
(٣٩) الاقتصـاد ص ١٧٦ .

بقى أن نقول قبل ان نذكر بعض الأدلـة من السنة المشرفة على صـدق رسالته أن موسى عليه السلام بعث لبنى اسرائيل ، وهم غلاظ القلوب ، لا يؤمنون الا بالمحسوس ولذا قالوا لموسى عتـوا وظلما كما يحكى القرآن الكريم ــ (ارنا الله جهرة)[40] وقالوا له (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة)[41] • ولهـذا جاءت معجزات موسى عليه السلام معجزات حسية أى يحسها القوم باحـدى حواسهم •

وبعث عيسى عليه السلام لخراف بنى اسرائيل الضالة ، وهم نفس الصنف من البشر ولذا كانت معجزاته أيضا حسية •

أما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو مبعوث لكل بنى البشر، وهو خاتم للأنبياء والمرسلين.

ومن البشر فى أى زمان ومكان من لا يؤمن الا بالمحسوس ، ومنهم من لا يؤمن الا بالمعقول ، ثم منهم من لا يؤمن الا بهما معنا •

ولهـذا فقد تنوعت معجزاته عليه الصلاة والسلام •

الا أن ابقاها واخلدها الى أن تقوم الساعة المعجزة العقلية القرآن الكريم • ويمكننا التفرقة بين المعجزة القرآنية وبين معجزات الأنبياء قبله ومعجزاته صلى الله عليه وسلم الحسية •

(أ) ان المعجزات الحسية وجدت فى فترة من الزمن ، ولم يبـق منها الا التذكير بها ، بحيث اذا أنكرها أحـد يتعـذر اثباتهـا معـه •

---

(٤٠) سـورة النسـاء الآية ١٥٣ .
(٤١) سـورة البقـرة الآية ٥٥ .

أما القرآن الكريم فهو باق ، ومحفوظ فى القلوب ، ومسطور فى المصاحف وفى متناول الأيدى فى كل زمان ومكان ، ومع بقائه يبقى التحدى ، ويقال لمن حاول الانكار ، عليك أن تأتى بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله •

(ب) ان المعجزات الحسية وبخاصة معجزات موسى وعيسى عليهما السلام ظهرت فى أمكنه محددة ولم يرها الا من كان فى هذه الأمكنة من البشر ، وأما ما عداهم فقد عرفوها سماعا •

أما القرآن الكريم فقد وصل الى المشارق والمغارب ورآه كثير من الناس • ثم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم الحسية والعقلية الأخرى كانت أكثر انتشارا وهى أحيانا لم (تختص بمكان دون مكان ، لأن من جملتها انشقاق القمر وهو يعم الأرض ••• وذلك لأن نبوته عامة لا تختص بقطر دون قطر فقد غاضت بحيرة ساوة فى قطر وسقط ايوان كسرى فى قطر وانهدت الكنيسة بالروم أعلاما بأنه يكون أمر عام)[٤٢] •

ونذكر بعض المعجزات الحسية والعقلية له صلى الله عليه وسلم •

١ ــ لقد اشبع صلى الله عليه وسلم الخلق الكثير من الطعام القليل •

ففى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه ان شاته التى ذبحها لرسول الله مع صاع من شعير أكل منها من كان يحفر الخندق وهم ألف ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم باركها • يقول جابر وهو

---

(٤٢) تفسير الفخر الرازى المجلد ١٣ حـ ٢٥ ص ٨٠ •

يرفع الأوانى بعد أن طعم الجميع (وان برمتنا لتغط كما هى — أى أنها مملوءة كما وضعها — وان عجيننا ليخبز كما هو) .

٢ — وفى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع من جذوع النخل فلما صنع المنبر وقام عليه سمعوا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار ، حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع عليه يده فسكت ، فقد حزن الجذع لفراق النبى صلى الله عليه وسلم .

٣ — وعن سالم بن أبى الجعد عن جابر رضى الله عنهما قال لما كنا يوم الحديبية اتى النبى صلى الله عليه وسلم بركوة فيها ماء — والركوة اناء صغير من الجلد يشرب به الماء — فجهش الناس — أى استعدوا للشرب من شدة العطش — فقلت ما مع الناس ماء الا ما بين يديك يا رسول الله قال : فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه الشريفة كأنها العيون ، فأصاب الناس ، من الماء حاجتهم قال : قلت له كم كنتم ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمسة عشر مائة[٤٣] .

٤ — ومن الدلائل على نبوته انشقاق القمر (قال ابن عباس : اجتمعت المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والعاص بن هشام والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى وزمعة بن الأسود والنضر بن الحارث ونظراؤهم كثير ، فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : ان كنت صادقا فشق القمر لنا فرقتين نصفا على أبى قبيس ونصفا على قعيقعان ! فقال لهم رسول الله صلى الله عليه

(٤٣) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٣٤٦ والحديث مروى بألفاظ أخرى عن قتاده وعن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنهما .

وسلم : ان فعلت تؤمنوا ؟ قالوا : نعم وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل أن يعطيه ما سألوا ، فأمسى القمر قد مثل نصفا على أبى قبيس ونصفا على قعيقعان ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى : يا أبا سلمة ابن عبد الأسد والأرقم بن أبى الأرقم أشهدوا)(٤٤) •

٥ — ومن الدلائل كلام الذئب (عن أبى سعيد الخدرى قال : بينما راع يرعى بالحرة اذ انتهز الذئب شاة ، فتبعه الراعى فحال بينه وبينها ، فأقبل الذئب على الراعى فقال : يا راعى ! ألا تتقى الله ، تحول بينى وبين رزق ساقه الله الى فقال الراعى العجب من ذئب مقع على ذنبه يكلمنى بكلام الانس ، فقال الذئب ، ألا أخبرك بما هو أعجب من هذا ؟ هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يدعو الناس الى أنباء ما قد سبق ، فساق الراعى شاءه حتى أتى الى المدينة فزواها الى زاوية من زواياها ، ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرهم بما قال الذئب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق الراعى الا انه من أشراط الساعة)(٤٥) •

٦ — وشهد الضب بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يروى ذلك عبد الله ابن عمر عن أبيه رضى الله عنهما •

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن الغنم سجدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم •

وعن على رضى الله عنه أنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فلم يمر صلى الله عليه وسلم بشجر ولا جبل الا قال السلام عليك يار سول الله •

---

(٤٤) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٢٣٤ — وقد ذكره البيهقى فى دلائل النبوة بصورة اخرى عن أنس بن مالك والانشقاق مروى فى الصحيحين •

(٤٥) نفس المرجع ص ٣١٨ •

والحـديث مروى بروايات أخرى عن عمر بن الخطاب وعن وكيع بن مرة عن أبيـه[٤٦] •

ونتوقف للحظات قبل أن نذكر أدلة أخرى تؤكد صدق نبوته عليه الصلاة والسلام ، لنقول ان العقل فى قرننا العشرين ربمـا يتعجب من هـذه الأمثلة ، وربمـا يدفعه تعجبه الى الشك فيها •

ونسارع فنقول : ان الايمان بالله سبحانه وتعالى ، والتصديق بأن كل شىء واقـع تحت قـدرته ، وبايجاده واحكامه وارادته ، وأنه جرت سنته سبحانه أن يؤيد رسله بأمور خارقة للعادة للدلالة على صـدقهم ، وخرق العادة لابد أن يكون دافعا للدهشة لأنه خارج عمـا ألفته العقول ، والا لم يكن له معنى ، وأن هـذه الخوارق ليست من فعـل الأنبيـاء •

ان اليقين بهـذه الأمور يبعـد الانسان فى أى زمن من الأزمنة وفى أى مكان من الأمكنة عن الشك فى أى خارق من الخوارق ويدفعـه للتسليم والتصـديق طالمـا أن الكل بفعل الله سبحانه •

بعـد هـذا نذكر بايجاز بعض الأمثلة ، التى لو فكر فيها العقل بروية وبعيدا عن التعصب والجمود والهـوى لصـدق بالرسالة الخاتمة وبالرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام •

٧ — أخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه فى بدء الدعوة الاسلامية بأن الاسلام سوف ينتشر فى المشارق والمغارب ، وقـد تحقق ما قال عليه السـلام حيث يقول (ان الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها

---

(٤٦) دلائل النبـوة لأبى نعيم ص ٣٢٥ .

ومغاربها ؛ وان أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض)[٤٧] •

٨ ــ وقــد أخبر صلى الله عليه وسلم أن عمار بن ياسر ســوف يقتل وقتل فعلا رضى الله عنه فى معركة صفين حيث يقول (تقتلك الفئة الباغيــــة)[٤٨] •

٩ ــ وقــد دعا لعلى بن أبى طالب بالشفاء فشفى يقول على رضى الله عنه حينما اشتكيت وجعا دعا لى رسول الله فقال (اللهم اشفه) فما اشتكيت وجعى بعــد ذلك[٤٩] •

١٠ ــ وقــد أخبر صلى الله عليه وسلم بأن عليا سوف يقتل بل وأخبر بصفة قتله يقول عليه السلام (اشقى الناس عاقر الناقة ، والذى يخضب من هــذا هــذه)[٥٠] أى ان من اشقى الناس ذلك الذى عقر ناقــة صالح ، وذلك الذى يضربك على رأسك يا على فيسيل الدم من رأســك ليصبغ لحيتك •

١١ ــ وقــد حــدد صلى الله عليه وسلم مدة الخــلافة بعــده بثلاثين عاما حيث قال (الخلافة بعــدى ثلاثون سنة ثم يؤتى الله الملك من يشاء)[٥١] وكانت مدة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن رضى الله عنهم كما قال •

---

(٤٧) رواه مسلم عن ثوبان فى كتاب الفتن ويقول العلماء ان المراد بالكنزين الذهب والفضة وهما كنزى كسرى وقيصر ملكى العراق والشام •

(٤٨) ذكره الحــاكم فى المستدرك •

(٤٩) دلائل النبــوة لأبى نعيم ص ٣٨٥ •

(٥٠) ذكره السيوطى فى الخصــائص الكبرى •

(٥١) رواه الترمذى فى صحيحه عن سعيد بن جمهان قال حــدثنى ســفينه قال : قال رســول الله •

١٢ — وحينما أسر العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر ، قال الرسول أفد نفسك وابنى أخيك فأنك ذو مال . فقال العباس لا مال عندى فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام وأين المال الذى وضعته عند أم الفضل بمكه قبل سفرك وقلت لها أن اصبت فى سفرى فللفضل كذا ولعبد الله كذا .

فقال العباس والله ما علم بهذا أحد غيرى ، والذى بعثك بالحق انك رسول الله حقا وأعلن اسلامه(٥٢) .

١٣ — وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم نعى الناس بموت النجاشى يوم مات ، وقال للمسلمين صلوا على أخيكم النجاشى وخرج بهم الى المصلى فكبر أربع تكبيرات .

ثم بان بعد ذلك أنه مات فى ذلك اليوم(٥٣) .

١٤ — وحينما علم صلى الله عليه وسلم ان كسرى مزق كتابه الذى أرسله اليه يدعوه فيه الى الاسلام دعا عليه قائلا : (اللهم ممزق ملكه كل ممزق — ثم نظر الى أصحابه وقال — أما أنكم ستملكون أرضه)(٥٤) وقد استجاب الله دعاءه عليه السلام وتملك المسلمون ملك كسرى .

١٥ — كما دعا عليه الصلاة والسلام على عتيبه بن أبى لهب قائلا

---

(٥٢) ذكره احمد بن حنبل فى مسنده عن ابن عباس رضى الله عنه حـ ٥ ص ١٠٥ .

(٥٣) شرح مطالع الأنظار ص ٣٠٥ والحديث رواه البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم .

(٥٤) رواه البخارى فى صحيحه .

(اللهم سلط عليه كلبا من كلابك)(٥٥) فافترسه الأسد ، رغم الحراسة المشددة التى فرضها أبو لهب حول أبنه حينما علم بدعاء الرسول عليه .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال (استقبل النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة فدعا على نفر من قريش على .. شيبة بن ربيعة . وعتبة بن ربيعة . والوليد ابن عتبة . وأبى جهل بن هشام . فاشهد بالله لقد رأيتهم صرعى قد غيرتهم الشمس وكان يوما حارا)(٥٦) .

وأمثلة كثيرة غير هذه مبسوطة مع ذكر رواتها وهم ثقات ، فى كتب السنة المطهرة والسيرة المشرفة ، وفى دلائل النبوة للبيهقى ، ودلائل النبوة لأبى نعيم الأصفهانى ، واعلام النبوة للماوردى ، والخصائص الكبرى للسيوطى وغيرها من المراجع الأصيلة .

واذا كان بعض هذه الأخبار (لم يتواتر كل واحد منها ، فالقدر المشترك بينها متواتر ، لأن مجموع الرواة بلغوا حد التواتر ، والقدر المشترك متحقق فى رواية المجموع فيكون متواترا)(٥٧) .

١٦ — والناظر فى تكوينه صلى الله عليه وسلم الخلقى ، والى صفاته الأخلاقية والى وصوله الى درجة الكمال فيهما ، والى نسبه الشريف ، والى ولادته مختونا ، والى خاتم النبوة على ظهره صلى الله عليه وسلم(٥٨) ، والى ما أحاط به من مواقف منذ دخوله الدنيا طفلا الى أن فارقها بجسده الشريف .

---

(٥٥) ذكره ابو نعيم فى دلائل النبوة ص ٣٨٩ .

(٥٦) رواه البخارى فى صحيحه .

(٥٧) شرح مطالع الأنظار ص ٣٠٦ .

(٥٨) ذكره البخارى فى صحيحه عن الجعيد قال سمعت السائب يقول (ذهبت بى خالتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابن اختى وجع فمسح راسى ودعا لى بالبركة ثم توضأ فشربت من وضوئه وقمت خلف ظهره فنظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه) وذكره مسلم فى صحيحه .

والمتأمل فيما جاء به من عقائد وعبادات ومعاملات ومزاجر وحكم وأخلاق ، يتأكد من أنه رسول الله حقا وصدقا .

يقول سعد الدين التفتازانى (انه قد اجتمع فيه من الأخلاق الحميدة ، والأوصاف الشريفة والسير المرضية ، والكمالات العلمية والعملية ، والمحاسن الراجعة الى النفس والبدن والنسب والوطن ما يجزم العقل بأنه لا يجتمع الا لنبى ... ثم من نظر فيما اشتملت عليه شريعته مما يتعلق بالاعتقادات والعبادات والمعاملات والسياسات والآداب وعلم ما فيها من دقائق الحكمة علم قطعا أنهاليست الا وضعا الهيا ، ووحيا سماويا والمبعوث بها ليس الا نبيا)(٥٩) .

١٧ ـ ومن الأدلة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم بشارات الأنبياء السابقين بمجيئه يقول سبحانه وتعالى (واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين)(٦٠) .

ومن قبل القرآن الكريم جاء فى التوراة (جاء الرب من سيناء ، وأشرق من ساعير ، وتلألأ من جبال فاران)(٦١) .

ففى الاصحاح المذكور اشارة واضحة الى انزال التوراة على موسى عليه السلام بسيناء ، والانجيل على عيسى عليه السلام بساعير حيث كان يسكن فى احدى قراها وهى الناصرة ، والقرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم فى فاران وهى جبال مكة .

---

(٥٩) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٣٩ .
(٦٠) سورة الصف الآية ٦ .
(٦١) سفر التثنية الاصحاح ١/٣٣ .

والذى يؤكد أن فاران هى جبال مكة أو جبال فىمكة التوراة نفسه حيث جاءفى سفر التكوين الاصحاح ١٧/٢١ — ٢١ — أن الله تعالى قال لهاجر (قومى احملى الغلام — أى اسماعيل — وشدى يدك لأنى سأجعله أمة عظيمة ٠٠٠٠ وكان الله مع الغلام فكبر ٠٠٠٠ وسكن فى برية فاران) ٠

والمعروف تاريخيا وبالأدلة العقلية المتواترة أيضا ، أن ابراهيم عليه السلام ترك هاجر وابنه اسماعيل فى مكة المكرمة فى وادغير ذى زرع يقول سبحانه وتعالى (ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)[٦٢] ٠

وفى الانجيل وفى الاصحاح العاشر اشارة واضحة الى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول عيسى عليه السلام (أنا أطلب الى أبى حتى يمنحكم ويعطيكم فرقليطا ليكون معكم الى الأبد ٠

وفى الاصحاح الخامس عشر وأما فارقليط روح القدس الذى يرسله أبى باسمى وهو يعلمكم ويمنحكم جميع الأشياء ، وهو يذكركم ما قلته لكم ، وأنى أخبرتكم بهذا قبل أن يكون) وكلمة فارقليط كلمة يونانية تعنى بالعربية أحمد وهو اسم من أسماء سيدنا محمد كما تعنى أيضا روح الحق ٠

وفى اشارة أخرى واضحة يقول عيسى عليه السلام للحواريين (ان لى أمورا كثيرة أيضا ، ولكن لا تستطيعون الآن أن تحتملوا . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم انى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ، ذاك

---

(٦٢) سورة ابراهيم الآية ٣٧ ٠

يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم)(63) والبشارات كثيرة فى التوراة والانجيل لكن المجال لا يتسع لذكرها .

ولعلنا بعد هذا العرض المبسط نلاحظ أن الأدلة كلها تتكاتف لتؤكد ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو رسول الله وخاتم النبيين .

---

(63) انجيل يوحنا الاصحاح ١٦/١٢ — ١٥ .

موقف اليهود والنصارى من رسالته عليه الصلاة والسلام

انقسم اليهود فى موقفهم من رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الى قسمين أو فرقتين الفرقة الأولى : **تقول بنبوته صلى الله عليه وسلم الا أنها تخصص هذه النبوة** • والفرقة الثانية : وهى الأغلبية من اليهود تقول باستحالة رسالة سيدنا محمد ، لأن القول بجوازها يؤدى الى النسخ • والنسخ محال •

أما النصارى : **فمع تجويزهم للقول بالنسخ الا أنهم ينكرون رسالة سيدنا محمد ويطعنون فى معجزته** •

ولنتعرف على هذه المواقف بشىء من الايضاح •

أولا — الفرقة الأولى من اليهود وتسمى بالعيسوية أو الاصبهانية :

وهى فرقة تنسب الى أبى عيسى اسحاق بن يعقوب الاصبهانى • وقد ظهر أبو عيسى هذا أيام الخليفة أبى جعفر المنصور العباسى ، وزعم أنه نبى بعث ليخلص بنى اسرائيل من الأمم وقد اتبعه عدد من اليهود وادعوا له بعض المعجزات(1) •

وقد قالت العيسوية بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبأنه مؤيد بالمعجزات ، الا أنها حصرت نبوته فى القول بأنه مبعوث للعرب خاصة ، وبهذا انكروا عموم رسالته صلى الله عليه وسلم •

ويرد عليهم :

بأنكم اعترفتم بأنه رسول الله ، وبأنه مؤيد بالمعجزات ومعلوم لدينا ولديكم أن الرسل جميعا معصومون عصمة كاملة عن الكذب ، ومعلوم ان الله سبحانه وتعالى حينما يؤيد رسوله باظهار المعجزات على يديه فانما يكون ذلك تصديقا له فى دعواه •

---

(1) الملل والنحل للشهرستانى حـ ٢ ص ٢٠ ، ٢١ •

ولقد بعث صلى الله عليه وسلم ومع بدء البعثة قال أنا رسول الله الى الناس كافة وأنا رسول الله الى الناس عامة ، ففى صحيح البخارى أنه صلى الله عليه وسلم قال (كان كل نبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود) وفى بعض الروايات (وبعثت الى الناس عامة) وفى بعضها الأخر وبعثت الى الخلق كافة) ويروى البخارى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال (انى رسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة) وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله أنه قال (والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار) .

وقد أرسل صلى الله عليه وسلم برسائل متعددة الى كسرى وقيصر وسائر ملوك العالم يدعوهم الى الدخول فى الاسلام .

والقرآن الكريم يؤكد بصريح اللفظ عموم رسالته صلى الله عليه وسلم يقول سبحانه وتعالى (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)(٢) .

ومما لا نزاع فيه أن الفرقان هو القرآن الكريم الذى فرق الله به بين الحق والباطل ، وأن المراد بالعبد هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وأن العالم هو كل ما سوى الله سبحانه ويدخل فى التعريف الملائكة والأنس والجن ، ولما كان صلى الله عليه وسلم غير مرسل الى الملائكة بقى أن يكون مرسلا الى بقية المكلفين وهم جميع الأنس والجن(٣) .

---

(٢) سورة الفرقان الآية ١ .
(٣) تفسير الفخر الرازى مجلد ١٢ حـ ٢٤ ص ٤٥ .

ولقد أمره سبحانه وتعالى أن يبلغ الناس جميعا يقول عز وجل (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)(٤) •

وهذه الآية تدل دلالة قاطعة على أن محمدا مبعوث الى جميع الخلق ، وذلك لأن يا أيها الناس خطاب يتناول الجميع •

ومن المعلوم بالتواتر أنه صلى الله عليه وسلم أدعى أنه مرسل لكل العالمين • فاما أن يكون رسولا حقا أو كان غير ذلك ، ومع ثبوت كونه رسولا يمتنع عليه الكذب ، ويجب أن يصدق فى كل ما يقول ومما قال أنه مبعوث لكل بنى البشر ، وبهذا يبطل قول من يقول أنه لم يرسل الا للعرب خاصة وهم العيسوية(٥) • ويقول عز وجل (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون)(٦) • ويقول سبحانه (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)(٧) •

واذا كان القرآن الكريم قد نقل بالتواتر المأمون من الخطأ وفيه الآيات الكثيرة التى تتضافر لتؤكد عموم رسالته وشمولها للأنس والجن •

وفى السنة الشريفة أحاديث تؤكد نفس العموم للرسالة •

والله سبحانه وتعالى لا يؤيد بالمعجزات الا الصادق ، والرسل معصومون عصمة كاملة عن الكذب •

---

(٤) سورة الأعراف الآية ١٥٨ •
(٥) تفسير الفخر مجلد ٨ حـ ١٥ ص ٢٩ •
(٦) سورة سبأ الآية ٢٨ •
(٧) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ •

فيلزم من كل هـذا أن تقر كل الأمم بعموم هـذه الرسـالة المحمدية ، وبخاصة أولئك الذين اعترفوا بكونه رسولا ٠

يقول الغزالى (انهم اعترفوا بكونه رسولا حقـا ، ومعلوم أن الرسول لا يكذب ، وقـد ادعى هـو أنه رسول مبعوث الى الثقلين ، وبعث رسوله الى كسرى وقيصر وسائر ملوك العجم ، وتوافر ذلك منه فمـا قالوه محال متناقض)(٨) ٠

ثانيا ــ الفرقة الثانية وهم بقية اليهود :

وهـؤلاء يقولون باستحالة رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه لو جاز القول بنبوته ، لجاز نسخ دين موسى عليه السلام ، ونسخ دين موسى محال لوجهين ٠

الوجه الأول : أنه تعالى اذا نسخ دين موسى بدين لاحق فاما أن ينسخه لا لغاية ولا لهـدف ولا لمصلحة ، وآن ذاك يكون عابثا ، والعبث عليه سبحانه وتعالى محال فما أدى اليه فهو محال اذن النسخ محال ٠

وأما أن ينسخه لمصلحة وهـدف وغاية ٠

وهذه المصلحة اذا لم يكن عالما بها ثم علمها فيكون جاهلا ، والجهل عليه محال ، أو يكون عالـما بها ثم ظهر له أن يطورها أو يغيرها ، فهـو بداء ٠

والبداء يحمل فى طياته معنى الجهل والتردد فهو محال على الله ٠

ومع استحالة الجهل والبداء على الله تعالى ، يستحيل ما أدى اليهما وهـو القـول بالنسخ ٠

---

(٨) الاقتصـــاد فى الاعتقـــاد ص ١٧٢ ٠

ومع استحالة النسخ تكون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم مستحيلة .

ويرد عليهم : بسؤال ماذا تقولون فى شريعة موسى ، هل نسخت ما قبلها أم لا ؟

فأن قالوا لا فقد كذبوا ، لأن الثابت أن آدم عليه السلام زوج بناته من بنيه .

وقد حظر موسى مثل هذا الزواج .

وقد اختتن ابراهيم عليه السلام فى الكبر . وأوجبه موسى على بنى قومه فى الصغر . وكان من الجائز الجمع بين الأختين فى شرع يعقوب . وحرم هذا فى شرع موسى .

وان قالوا شريعة موسى نسخت ما قبلها من الشرائع .

فقد ابطلوا قولهم باستحالة النسخ واذا بطل القول بالاستحالة ثبت القول بالجواز(٩) .

النسخ اذن جائز وهو لغاية ولهدف ولمصلحة والأهداف والمصالح والغايات تتجدد بتجدد الأماكن والأزمان والبشر .

فحالة البشرية مع بدء خلقها مثل حالة الطفل الرضيع ، فكما أن الطفل لا يصلح له من الأطعمة الا اللبن ، وكلما تقدم به العمر تغير ما يصلح له فهو اذا كبر وأصبح شابا يافعا وقويت معدته صارت مصلحته فى أن يعطى ألوانا كثيرة من الأطعمة .

وهكذا البشرية خلقها الله سبحانه وتعالى ، وعلم أزلا ما يصلح من شأنها فى بدء وجودها .

---

(٩) شرح الأصول الخمسة ٥٧٩ .

وهـو يعلم بعلمـه الشامل أزلا ما يتناسـب مـع كل مرحلة من مراحل وجودها ــ فعلمه سبحانه وتعالى محيط أزلا بكل شيء فهـو سبحانه وتعالى يعلم ما لم يكن ويعلم متى سيكون وكيف يكون والى متى يستمر وجوده ومتى يعـدم •

ولا تجـدد فى علمه وانما المتجـدد بعلمه الأزلى هـو الأحكام الشرعية التى تتناسب مع التطور الحادث فى البشرية بقدرته تعالى •

ويعرف النسخ بأنه (الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بخطاب آخر على وجه لولاه لا ستمر الحكم المنسوخ)(١٠) •

وعلى هـذا كما يرى الجوينى فان النسخ لا يثبت الا مع وجود حكم ثابت فى المـاضى يرفـع بحكم لاحق •

ويذهب المعتزلة الى القول بأن النسخ (هـو تبيين مدة الشريعة أو العبـادة ، فاذا توجـه اليهم شرع مطلق فالظـاهر تأبده ، فـاذا نسخ استبان بذلك ان اللفظ الأول لم يرد به الا تلك المدة المعينة)(١١) •

فحينما يأتى موسى عليه السلام بحكم شرعى غير محـدد المدة ، فالتلقي لهذا الحكم يلتزم به، ويعتقد أنه على التأبيد، وهذا حسب علمه • فاذا جاء محمد صلى الله عليه وسلم بحكم مغاير لمـا جاء به موسى اتضح ان الحكم الأول لم يرد به الا مدة محـددة ، وقـد انتهت مدته التى يعلمها الله أزلا ، وبدء الحكم الجـديد الذى هـو معـلوم لله •

ويعرف السيد الشريف النسخ(١٢) (بأنه فى اللغة الأزالة والنقل •

---

(١٠) الارشـــاد ص ٣٣٩ •
(١١) شرح الارشـــاد لابن ميمون ص ٥٧٣ •
(١٢) التعريفـــات ص ٢٤٠ •

وفى الشرع هــو أن يرد دليل شرعى متراخيا عن دليل شرعى ، مقتضيا خلاف حكمه . فهو تبديل بالنظر الى علمنا وبيان لمــدة الحكم بالنظر الى علم الله تعالى) .

فالله سبحانه وتعالى هــو الذى شرع الحكم الأول ، وهــو يعلم عز وجل أن هــذا الحكم هــو مصلحة للبشر الى وقت كذا ، فاذا جاء الوقت الذى يعلمه عز وجل ، فأنه يرفع هــذا الحكم بحكم آخر يناسب فترة أخرى من حيــاة البشر .

والقول بالجهل أو البداء انما يصح اذا كان يتجــدد له علم بشىء لم يكن يعلمه أو يبدو له أمرا غير الذى فعله .

أما اذا كان عالمــا بكل شىء يقول سبحانه وتعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هــو)[13] ويقول (عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال)[14] وكان كل شىء عنده بقــدر يقــول سبحانه (انا كل شىء خلقناه بقــدر)[15] ويقول (وخلق كل شىء فقــدرة تقــديرا)[16] فلا جهــل ولا بداء .

والجهل والبداء جائز فى حقنا نحن البشر ، فأنا الذى كنت أجهل كثيرا عن أبى الحسن الأشعرى ، ومع الزمن علمت الكثير عنه ، وأنا الذى يبدو لى أن أصلى الظهر بمسجد الحسين رضى الله عنه ، ثم أغير اتجاهى وأصلى فى الجامع الأزهر . فأنا كانسان أجهل ثم أعلم ، وأنا كانسان يظهر لى كذا ثم يظهر لى غير ما ظهر لى أولا .

أما الله سبحانه وتعالى فان علمه وسع كل شىء فلا يجوز أن نقول بالجهــل أو البــداء عليــه .

---

(13) ســورة الأنعــام الآية 59 .
(14) ســورة الرعــد الآية 9 .
(15) ســورة القمــر الآية 49 .
(16) ســورة الفرقان الآية 2 .

ويتعلق علمه سبحانه وتعالى بالمعلومات على ما هى عليه ، والتجدد الدائم هو فى الاحكام لا فى علم الله .

فقد علم أزلا أنه فى وقت كذا سيرسل موسى عليه السلام الى بنى اسرائيل بأحكام تتناسب مع طبيعتهم وزمانهم ، وهذه الأحكام ترفع بعض الأحكام السابقة لأنبياء سابقين . وعلم أزلا أنه سيرسل عيسى عليه السلام الى خراف بنى اسرائيل الضالة ، وسيرسل محمدا صلى الله عليه وسلم ليكمل للناس دينهم ، ويحلل لهم ما كان محرما قبل ذلك . أى ينسخ بعض الأحكام الثابتة بأحكام أخرى جديدة ويختم المسيرة النبوية الى الناس .

ثم ان البداء هو الظهور بعد الخفاء ولا شىء يخفى عليه سبحانه وتعالى (والبداء لا يكون بداء الا عند اعتبار أمور : نحو أن يكون المكلف واحدا ، والفعل واحدا ، والوقت واحدا ، والوجه واحدا .

ثم يرد الأمر بعد النهى والنهى بعد الأمر ، ومثاله أن يقول أحدنا لغلامة اذا زالت الشمس ودخلت السوق فاشتر اللحم . ثم يقول له اذا زالت الشمس ودخلت السوق فلا تشترى اللحم ، وانما يسمى بداء لأنه يقتضى أنه قد ظهر من حال اشتراء اللحم ما كان خافيا عليه من قبل .... حتى لو تغاير واحد من هذه الأمور الأربعة خرج البداء عن أن يكون بداء)(١٧) .

ففى المثال نلاحظ أن العبد هو نفسه الذى كلف بشراء اللحم وكان تكليفه بأن يقوم بالشراء بعد زوال الشمس وذهابه الى السوق .

---

(١٧) شرح الأصول الخمسة ص ٥٨٤ ، ٥٨٥ .

ثم بدا لنفس السيد أن يقول لنفس العبـد ان لا يشترى نفس اللحم اذا زالت الشمس ودخل السوق فهـذا هو ما يسمى بالبداء •

أما اذا تغير السيد وتغير العبد وتغير الفعل المطلوب وكان الزمن غير الزمن فلا يقال أن هـذا بداء •

فالأحكام الشرعية متغايرة فى بعض نواحيها ، والأزمنة متغايرة ، والناس فى زمان ومكان ما — ليسوا بعينهم هم الذين كانوا قبل ذلك ، وما يصلح لفترة ما لا يصلح لأخرى •

فلا بداء اذا ، وانما هى أمور ومصالح تتجـدد لا ناس متغايرين وفى أزمنة وأمكنة مختلفة على وفق علم الله سبحانه المحيط بكل شىء •

ثم ان القول بأن النسخ محال ينعكس على اليهود فى التوراة ، فلقـد أمر آدم بتزويج بناته لأبنائه ، وجاء موسى بشريعة من عند الله تحرم ذلك ، وجاء نوح بشريعة تحلل كل ما دب على الأرض ما عدا الدم ، وجاء موسى بشريعة تحرم الكثير من الحيوانات • وهذا يوضح جواز النسخ دون أن يترتب على ذلك الجهل أو البداء •

يقول الامام الغزالى فى رده (ان النسخ عبارة عن الخطـاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت المشروط استمراره ، بعـد لحـوق خطاب برفعـه ، وليس من المحال أن يقول السيد لعبده قم مطلقـا ، ولا يبين لـه مدة القيام ، وهـو يعلم أن القيام مقتضى منه الى وقت بقـاء مصلحته فى القيام ، ويعلم مدة مصلحته ، ولكن لا ينبه عليها ، ويفهم العبد أنه مأمور بالقيام مطلقا ، وأن الواجب الاستمرار عليـه أبدا ، الا أن يخاطبه السيد بالقعود فاذا خاطبه بالقعود قعد •

ولم يتـوهم بالسيد أنه بدالـه ، أو ظهرت لـه مصلحة — كان لا يعرفها والآن قـد عرفها ••• فهكذا ينبغى أن يفهم اختلاف احكام

الشرائع .... والمصالح تختلف بالأعصار والأحوال ، فليس فيه ما يدل على التغير ولا على الاستبانه بعـد الجهل ولا على التناقض)(١٨) .

الوجه الثانى من أوجه استحالة النسخ .

يقولون : ان موسى عليه السلام قـد نص صراحة على دوام دينه بقوله (تمسكوا بالسبت ما دامت السموات والأرض) وهـذا الكلام فيه اشارة واضحة الى دوام اليهودية الى قيام الساعة وقال أيضـا (عليكم بدينى ما دامت السموات والأرض) وقال (أنا خاتم الانبياء) ولـما كان موسى رسولا باعتراف الجميع والرسل معصومون من الكذب ، وقـد قال هـذا فيلزم تصديقه فيما قال ، ويتين تصديقه فى قوله على دوام دينه ، وأنه خاتم الأنبياء ، ويفيد فى نفس الوقت استمرارية هذا الدين واستحالة نسخه ومع هـذه الاستحالة تستحيل رسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

ويرد على القائلين بهـذا الكلام بما يلى :

أولا : أنه من المعروف أن اليهود قبل البعثة المحمدية كانوا يتوقعون مجىء رسول ، وكانوا يتمنون أن يكون منهم ، وهـذا التوقع والتمنى فى حد ذاته يرد على كلامهم بأبدية رسالة موسى ، وبأنه خاتم الأنبياء .

ثانيا : ان موسى عليه السلام لم يقل هـذا الكلام ، ولو قاله لنقل بالتواتر ، ولكان أول من يعلمه ويحافظ عليه ويظهره ويجادل به هم اليهود الذين عاشوا وقت مبعث محمد صلى الله عليه وسلم .

ولا شك أنهم كانوا فى غيظ شديد من محمد ، وكانوا حريصين كل الحرص على اثبات كذبه ، وقـد تحايلوا بكل ما يملكون من قـدرات

---

(١٨) الاقتصـاد فى الاعتقـاد ص ١٧٣ .

فكرية ومادية على تأليب المشركين والمنافقين عليه صلى الله عليه وسلم ، ولما اعيتهم الحيل تآمروا عليه وحاولوا قتله ، وانضموا الى صفوف الأعداء وغدروا فى العهود .

فلو كان معهم هذا القول لعارضوا به الرسول ، ولطعنوا فى شرعه ، ولقالوا له كيف تدعى أنك رسول ونبينا موسى قال كذا ، وما قاله نقل الينا بالتواتر ، فلما لم يفعلوا مع حرصهم الشديد على التكذيب وحنقهم على محمد صلى الله عليه وسلم دل أنهم لا يعلمون ذلك .

ثالثا : ان هذه الأقوال فى الحقيقة والمنسوبة ظلما وكذبا الى موسى عليه السلام هى من اختلاق أحمد بن يحيى بن اسحاق والمشهور بابن الراوندى(١٩) يقول الغزالى (ان هذه الشبهة أنما لقنوها بعد بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ، ولو كانت صحيحة لاحتج اليهود بها .... ومعلوم قطعا ان اليهود لم يحتجوا به ، لأن ذلك لو كان لكان مفحما لا جواب عنه ولتواتر نقله ، ومعلوم أنهم لم يتركوه مع القدرة عليه)(٢٠) .

لقد أراد هذا الزنديق ابن الراوندى أن يكيد للاسلام ويضربه فى عقائده فاختلق هذه الأقوال .

---

(١٩) متكلم فيلسوف كان على مذهب المعتزلة ، ثم جاهر بالالحاد وينسب الى مدينة راوند احدى قرى اصبهان ، وقد وضع كتبا فى قدم العالم ونفى الصانع ، والطعن على الرسول صلى الله عليه وسلم ، من اشهر مؤلفاته فضيحة المعتزلة ، والتاج ، والزمرد ، والدامغ للقرآن ، اختلف فى تاريخ وفاته والأرجح انه مات سنة ٢٩٣ ، وقد رد الخياط على بعض اكاذيبه فى كتاب سماه الانتصار والرد على ابن الراوندى — راجع الاعلام للزركلى حـ ١ ص ٢٦٧ دار العلم للملايين بيروت .

(٢٠) الاقتصاد ص ١٧٤ .

رابعا : ان الرسل معصومون عن الكذب وظهور المعجزات على أيديهم دليل على تأييد الله لهم فى دعواهم وتصديقه سبحانه وتعالى لهم فى كل ما يقولون والتأكيد للناس أنهم رسله ، فلو كان موسى عليه السلام قال هذا الكلام حقا لما أيد الله سبحانه وتعالى عيسى ومحمدا عليهما السلام باظهار المعجزات على أيديهما ، لأنهما على حسب قول اليهود يكذبان ، والله لا يؤيد الكاذب بالمعجزات •

فلما أيدهما باظهار المعجزات على أيديهما دل أنهما رسولان حقا •

ومن المعلوم بالضرورة أنه تعالى لا يؤيد رسولا بالمعجزات للدلالة على صدقه ، ثم يرسل رسولا آخر يكذبه •

ومن المعلوم أيضا أن كل رسول كان يبعث يعلن صراحة تصديقه الكامل بمن قبله من الرسل الى أن جاء محمد صلى الله عليه وسلم ليختم الرسالات السماوية يقول سبحانه وتعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما)(٢١) •

يقول سعد الدين التفتازانى (انه افتراء على موسى عليه السلام ودعوى تواتره مكابرة ، ولو صح لما ظهرت المعجزات على عيسى أو محمد عليهما السلام ، ولأ ظهروه فى زمانهما احتجاجا عليهما . ولو أظهروه لا شتهر لتوافر الدواعى ، على أن كثيرا ما يعبر بالتأبيد والدوام عن طول الزمان)(٢٢) •

ثالثا — موقف النصارى من رسالته صلى الله عليه وسلم :

أما النصارى فقد حرصوا على اثبات النسخ ، حتى تصح

---

(٢١) سورة الأحزاب الآية ٤٠ •
(٢٢) شرح المقاصد ﺣ ٢ ص ١٤١ •

رسالة سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ، الا أنهم أنكروا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومستندهم فى الانكار قولهم ان الدليل على صدق أى رسول هو المعجزة التى يظهرها الله على يديه ، ولقد أتى موسى وعيسى بمعجزات من عند الله ، أما محمد صلى الله عليه وسلم فلم يأت بأى معجزات فهو اذن ليس برسول .

وما يقال ان معجزته هى القرآن الكريم ، فالقرآن ليس بمعجز اذ يحتمل أن محمدا كان أبلغ القوم وأفصحهم .

كما يحتمل أنه عورض لكن كثرة المسلمين وخوف سيفهم منع الناس من اظهار المعارضة . أو أن المسلمين أنفسهم أخفوا المعارضة . أو أن المعارضة اندثرت بفعل الزمن . كما يحتمل أنهم كانوا قادرين على المعارضة الا أنهم آثروا السيف ورأوا أنه انجع فى القضاء على محمد ودعوته .

كما يحتمل ان انشغال العرب بقتال محمد لم يترك لهم الفرصة لمعارضته .

الرد عليهم :

ويرد عليهم بأن محمدا صلى الله عليه وسلم ظهرت على يديه الكثير من المعجزات الحسية والعقلية والتى تفوق فى عددها وخلودها وكثرة النقلة لها مع صدق كل واحد منهم ما ظهر على يد الأنبياء جميعا .

١ — ثم أنه لا معنى للمعجزة الا ما يظهر على يد الرسول من أمور خارقة للعادة ، ويكون الظهور مقارنا لدعوى النبوة ، ويتحدى الرسول القوم أن يأتوا بمثل ما أتى به ، ويعطيهم الفرصة تلو الفرصة ،

ويحرضهم ، ويؤجج دوافع التحـــدى فيهم ، ثم يعجزون عجزا كاملا عن المعارضـــة .

ولقـــد تحـــدى محمد صلى الله عليه وسلم العرب الخلص ــ وهم أصحاب الفصاحة والبلاغة والبيان ــ بالقرآن الكريم . تحـــداهم أن يأتوا بمثله ، وتحـــداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله ، وتحـــداهم أن يأتوا بسورة واحـــدة ، وأغـــاظهم وهـــو يتحـــداهم بقـــوله ولن تســـتطيعوا أن تأتوا بسورة واحـــدة ، واستمر فى تحـــديه لهم ثلاثا وعشرين ســـنة ، فلم يستطيعوا وهم المتخصصون بلغـــة العصر فى الفصاحة والبلاغة والبيان ، وهم فى نفس الوقت أصحاب أنفة وحمية جاهلية تدفعهم لمحاولة المعارضة .

والقرآن الكريم معنا وفى أيدينا ، وتحـــديه لكل بنى البشر قائم الى قيام الساعة . فليأت النصارى وغيرهم بما يعارض القرآن ، ولن يستطيعوا لأن المتحـــدى هـــو الخالق سبحانه الذى يقـــول (قـــل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هـــذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)[٢٣] . يقول الغزالى (لا يمكن انكار تحـــديه بالقرآن ولا يمكن انكار اقتدار العرب على طريق الفصاحة ولا يمكن انكار حرصهم على دفع نبوته بكل ممكن حماية لدينهم ودمهم ومالهم وتخلصا من سطوة المسلمين وقهرهم ولا يمكن انكار عجزهم لأنهم لو قـــدروا لفعلوا فان العادة قاضية بالضرورة بأن القادر على دفع الهلاك عن نفسه يشتغل بدفعه ولو فعلوا لظهر ذلك ونقل[٢٤] ..

٢ ــ وما يقولونه أن القرآن من جنس كلام العرب وان محمـــدا قـــد بز أقرانه فى الفصاحة والبلاغة ، وهو بهـــذا متفوق عليهم .

(٢٣) ســـورة الاسراء الآية ٨٨ .
(٢٤) الاقتصـــــاد ص ١٧٤ ــ ١٧٥ .

فيرد عليهم بأنه مع التسليم بذلك فان الفصاحة والبلاغة تأتى بالتعليم والتعلم ، مع الاستعداد الفطرى ومهما بلغ الانسان فيهما فأنه لا يخرج عن ما يقدر عليه غيره من البشر ، أى ان غيره من أهل البلاغة والفصاحة يستطيع باجادة الاكتساب أن يعارض مثل ما كان يحدث بين الشعراء والخطباء (وما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم قد خرج عن حد ما يكتسب بالحذق ، وعجز القوم عن معارضته ومقابلته مع ايثارهم لذلك ، واجتماع هممهم له وتوفر دواعيهم عليه)(٢٥) فدل هذا على أنه من عند الله سبحانه وتعالى ، وليس من جنس ما يقدرون عليه فانه معجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ أما القول بأن كثرة المسلمين وخوف سيفهم منع القوم من اظهار المعارضة ، فيرده واقع الحياة نفسها ، فلقد كان المسلمون قلة ضعيفة ، وظلوا كذلك على مدى ثلاثة عشر عاما مدة الدعوة فى مكة ، ولم يكونوا ابدا قوة ضاربة تخيف الأعداء . ولقد كان محمد يتحدى بالقرآن فى هذه الفترة ويطالب بالمعارضة ، فلماذا لم تظهر أى معارضة جادة للقرآن الكريم ؟

ومع افتراض كثرة المسلمين بعد الهجرة ، وازدياد قوتهم فان الخوف مهما اشتد لا يمنع من المعارضة وانتقالها سرا الى البلدان القريبة والنائية وبخاصة أن المعارضة المطلوبة هى كلام يمكن حفظه فى الصدور ، ونقله الى أمم عديدة تناصر العرب وتتربص للاسلام ، وتتمنى أن يعارض القرآن لتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم .

٤ ـ وكون الأمر ـ ونعنى به القرآن والمعارضة ـ يتعلق بدعوة لها تأثيرها الكبير على النفوس والعقول ، ولها أثرها على مجريات

(٢٥) التمهيد للباقلانى ص ١٤٧ .

الأحـداث ، ولها دورها فى تحويل المسار العقائدى للأمم ، فأن دوافع الناس وهممهم فى كل عصر تجعله فى بؤرة الاهتمام دائما •

ومثل هـذا يستحيل اخفاؤه ، كما يستحيل اندثارة ونسيانه •

٥ ــ وما يقال أنهم قـدروا على المعارضة الا أنهم لجـؤا الى السيف لاعتقادهم أنه أنجع فى القضاء على محمد ودعوته •

فمردود بمحاولاتهم اليائسة مع عجزهم المستمر • ثم ما الذى يمنع طالمـا أن المعارضة واقعة تحت قـدرتهم من معارضته واظهار هذه المعارضة ، مع استمرارهم فى الحرب ، فيكون فى نجاحهم فى الأمرين قضاء على ما يغيظهم ، وتكذيب لمن يتحـداهم ، يقول الباقـلانى (لو كان فى قـدرة القوم التكلم بمثل القرآن لأتوا به مـع نصـب الحرب ، كما أنهم كانوا يأتون مـع ذلك بالشعر والرجز والخطـابة والرسائل •••• وفى ترك ذلك دليل على بطلان)(٢٦) ما قالوه •

٦ ــ أما القول بأن انشغالهم بالحرب ضـد محمد صرفهم عن المعارضـــة •

فهو قول لا معنى له ، وذلك لأن الفترة المكية لم يكن فيها أى حرب بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يتوقف فيها التحدى وطلب المعارضـة •

ثم ان فترة الهجرة من مكة الى المدينة والتى استمرت عشر سنوات لم تكن كلها مستغرقة فى الحروب بل كانت هناك فترات هـدنة بين الطـــرفين •

---

(٢٦) التمهيـــد ص ١٧٦ •

ثم ان المحاربين لمحمد وأصحابه لم يكونوا كل القرشيين والأعداء بل الرجال الأشــداء منهم ، أما الشيوخ والنساء وغيرهم فلم يكونوا في حرب حقيقية •

ثم ان الأمر متبادل بين الطرفين ، فلو افترضنا ان الجميع من المسلمين والمشركين فى حرب مستمرة ، فلماذا صرفت الحرب الأعــداء عن المعارضة ، ولم تصرف محمدا عن الاستمرار فى التحــدى •

يقول الغزالى (والجواب ان ما ذكروه هــوس ، فأن دفع تحدى المتحدى بنظم كلام أهــون من الدفع بالسيف مــع ما جرى على العرب من المسلمين بالأسر والقتل والسبى وشن الغارات)[٢٧] •

(٢٧) الاقتصــــاد ص ١٧٦ •

قضـــية المعـــاد

المعـــاد ــ بضم الميم وفتح العين ــ فى اللغة رجـوع الشىء الى ما كان عليه قبل ذلك (والمراد به هنا الرجـوع الى الوجـود بعـد الفناء ، أو رجـوع أجزاء البدن الى الاجتماع بعـد التفرق ، والى الحياة بعـد الموت ، والأرواح الى الأبدان بعـد المفارقـة ــ وعند الفلاسفة ــ رجـوع الأرواح الى ما كانت عليه من التجرد عن علائق البـــدن)[1] •

أما فى الاصطلاح فهو رجـوع الموتى الى الحياة التى كانوا عليها قبـل ذلك بعـد سماعهم للنفخة الثانية فى الصور ، وخروجهم لأرض المحشر للمثول أمام الذات العلية للحساب على ما عملوا فى دنيا الاختبار والابتـــلاء •

ويمكن تحـديد الموقف من المعـاد فيما يلى :

أولا ــ المـاديون وهم يقولون بقـدم المـادة وبأنه لا وجـود الا للمـادة ، ولا يؤمنـــون بوجـود الخالق ولا بالبعث الآخروى ، ويرجعون وجـودهم فى الدنيا أما الى الطبيعة أو المصادفة ، أو فرضية النشوء والارتقاء أو غـير ذلك من الافتراضـات ومنهم الدهرية[2] • وموقف هؤلاء من المعـاد تحـدده الآية الكريمة (وقالوا ان هى الا

---

(١) شرح المقاصـد ﺣ ٢ ص ١٥٣ •

(٢) الدهريون هم طائفة من الأقـدمين انكروا وجـود الله سـبحانه وقالوا بأزلية العالم وبأن الحيوان لم يزل من النطفه ، والنطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك يكون ابدا ولا شىء غير ذلك ــ المنقـذ من الضلال للغزالى ص ٢٧ ط رابعة ١٩٦٤ •

حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين)(٣) والآية الكريمة (وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر)(٤) فارحام تدفع وقبور تبلع ولا شىء بعد ذلك .

ثانيا — الفلاسفة الطبيعيون وهؤلاء لكثرة بحوثهم فى الطبيعة ، ووقوفهم على الكثير من أسرارها وعجائبها ، وبخاصة فى عالم الحيوانات والنباتات وتأكدهم من وجود قوانين معقدةتحكم جزئيات الكون . آمنوا بوجود خالق مدبر عليم حكيم .

(الا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر عندهم لاعتدال المزاج تأثير عظيم فى قوام قوى الحيوان به ، فظنوا ان القوى العاقلة من الانسان تابعة لمزاجة أيضا ، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم ثم اذا انعدم فلا يعقل اعادة المعدوم فذهبوا الى أن النفس تموت ولا تعود)(٥) وهم بهذا ينكرون المعاد ولا يؤمنون بالآخرة .

ثالثا — أصحاب التناسخ وهم يقولون برجوع الروح بعد موت البدن الى العالم الأرضى مرة ثانية ، لتلبس بدنا انسانيا آخر ، وتظل تنتقل من بدن الى بدن ، وهى فى انتقالها تثاب أو تعاقب .

فما تراه الروح من فرح وسعادة وأمن وفوز انما هو مرتب على أعمال خيرة صدرت منها وهى فى بدن قبل ذلك ، وما تراه من حزن وضيق وخسران انما هو مرتب على أعمال شريرة صدرت منها وهى فى بدن سابق .

---

(٣) سورة الأنعام الآية ٢٩ .
(٤) سورة الجاثية الآية ٢٤ .
(٥) المنقذ من الضلال ص ٣٢ .

وهكذا لا معـــاد ولا آخرة والثواب والعقـــاب لا يكونان الا فى الدنيـــا(٦) •

رابعا — جالينوس وقـــد تردد فى أمر النفس فهـــو تارة يقول أنها المزاج فتفنى بالموت ، وتارة يقول بأنها جـــوهر باق بعـــد الموت ، وقـــد أداة هـــذا التردد الى التوقف فى أمر المعـــاد(٧) •

خامسا — الفلاسفة الالهيون وهم يقولون بأن الذى يعـــاد هى الروح ، لأنها هى المكلفة وهى التى تحس بالسعادة والشقاوة والجسد مجرد وعاء تتعلق به وعـــودتها تعنى التخلص من هـــذا الوعاء ورجوعها الى التجرد الذى كانت عليه قبل ذلك •

سادسا — جمهور من المتكلمين ويقولون بالمعـــاد الجسمانى فقط (لأن الروح عندهم جسم سار فى البـــدن سريان النار فى الفحم والمـــاء فى الورد)(٨) فالروح مادية مثل الجسم •

سابعا — الكثير من اعـــلام المتكلمين ومنهم الامام الغزالى وهم يقولون ان الانسان يتكون من الجسم والروح وبالجسم والروح فعـــل الانسان الخير والشر فى الدنيا ، ولمـــا كان الأمر كذلك فان المعـــاد والمتلقى للثواب والعقاب هـــو الانسان بجسمه وروحه — وهم يقولون بأن الروح جوهر مجرد عن المـــادة وهى باقية بعد قطع تعلقها عن الجسد بالموت وتعود اليه ثانية بالبعث الأخروى(٩) •

---

(٦) الملل والنحـــل للشهرستانى حـ ٢ ص ١١٣ •

(٧) شرح المقاصـــد حـ ٢ ص ١٥٥ •

(٨) المقاصـــد حـ ٢ ص ١٥٥ او هى الدم او الهواء أو المزاج المعتدل ، والمزاج كيفية حاصلة من تفاعل الأجزاء المختلفة . مذكرات ص ٨٧ •

(٩) البعث الاخروى هـــل هو بالروح او بالجسد أو بهما وما هى شبهة القائلين ببعث الروح فقط وكيف يرد عليهم . هذه الجزئية ناقشناها =

العقــل يحكم بجــواز الاعادة :

لم يكن الانسان شيئا يذكر بل كان عــدما وواقع الأمر يؤكد هذه الحقيقة وخير مؤكد لهــذا القرآن الكريم حيث يقول (هــل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) •

ثم أراد الله سبحانه وجــوده وتعلقت قــدرته عز وجل بايجاده فوجــد فى البدء نطفة لم تستمر طــويلا بل تحولت الى علقة فمضغة فعظام مكسو باللحم فغلان من البشر الطفل فالصبى فالشاب فالكهل •

ومــع انتهاء المدة المحــددة لــه أزلا لبقائه فى الدنيا يخرج منها ونقول أنه مات • الانسان اذن حادث ، وكل حادث فهو مسبوق بالعدم ، ومــع وجوده يخضع للتغير المستمر ، ثم ينتهى الوجود بالموت •

ولا دخــل للانسان فى وجوده أو خروجه من الوجــود ، وانمــا هــو فقط قابل قبولا ذاتيا للوجــود أو العــدم •

وهــذه القابلية تعنى ان قــدرة الايجاد والاعــدام لا يملكهــا الانسان ، وانما هى من صفات الخالق الأزلى الأبدى سبحانه (هــو الأول والآخر والظاهر والباطن) وهــو سبحانه وحــده يتصف بالكمال المطلق ، ومن كمالاته القــدرة التى لا تجــد على الخلق من العــدم والاعادة بعــد الخلق الى العــدم •

فالانسان قابل لكل شىء ، والله سبحانه وتعالى فاعل لكل شىء ، فاذا تعلقت قــدرته سبحانه وتعــالى بالانسان وجــودا وجــد واذا

= قبل ذلك فى كتابين لنا أولهما ــ نظرات فى العقيدة ــ وثانيهما بحــوث فى الفلسفة الاسلامية لذا آثرنا الا نكرر انفسنا بذكر التفاصيل مرة ثانية •

تعلقت به اعــداما عــدم (انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول لــه كن فيــكون)[10] •

وعلى هــذا نقــول ان اعاذة الأموات جائزة عقــلا ، فهم كانوا قبل الوجــود عــدما ، ثم بارادة كن دخلوا الى الوجــود ، ولم يكن لهم دور فى الدخول سوى القابليــة المعطــاة لهم من الفاعــل سبحانه وتعالى ، ثم انه عز وجــل مع انتهاء أجلهم الذى حــدده لهم يسلبهم الوجــود أو الحيــاة يقــول سبحانه (فاذا جــاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)[11] •

ومــع مجىء اللحظة التى حــددها سبحانه أزلا والتى يأمر فيها اسرافيل بالنفخ فى الصور (ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون)[12] يقــوم الجميع من قبورهم ليمثلوا أمام الذات العلية •

فالذى أوجــدهم من العــدم المطلق قادر على اعادة الحياة لهم بعــد الموت ، بل ان الاعادة ــ ولله المثل الأعلى ــ أهــون من الابتداء يقــول الغزالى (ان الاعادة خلق ثان ولا فرق بينه ــ أى الحشر أو المعــاد ــ وبين الابتداء ، وانما يسمى اعادة بالاضافة الى الابتداء السابق ، والقادر على الانشاء والابتداء قادر على الاعادة)[13] •

النقــل يؤكد الوقــوع :

جاء أبى بن خلف ــ ومعه بعض العظام الرميم ــ الى رســول الله صلى الله عليه وسلم ثم فتت العظام الذى معه وطرحه فى الهــواء ،

---

(١٠) ســورة يس الآية ٨٢ •
(١١) ســورة النحــل الآية ٦١ •
(١٢) ســورة الزمر الآية ٦٨ •
(١٣) الاقتصــــاد ص ١٨٠ •

ونظر في عناد واستكبار وانكار الى الرسول عليه السلام ثم سأل أتزعم يا محمد ان ربك يحيى هذه العظام بعد ما ارم ، فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم (نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك الى النار) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ان العاص بن وائل أخذ عظما من البطحاء ففتته بيده ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ايحيى الله هذا بعد ما أرى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم) .

ونزلت الآيات القرآنية ، والتى فى آخر سورة يس لتؤكد ان البعث حق ، وتذكر الانسان بحقيقة نفسه ، وأنه مخلوق وليس بخالق ، وان أساسه نطفة حقيرة (فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق)(١٤) وان خالقه هو الله .

وعلى كل معاند متكبر الا ينسى طبيعة نفسه ، وان يعلم ان الذى خلقه أول مرة قادر على اعادته مرة ثانية .

وان الذى فى قدرته ان يجعل من الشجر الأخضر نارا محرقة . بقدرته ان يعيد الانسان .

والذى بقدرته خلق السموات والأرض قادر على ازالتهما ، وإعادة خلقهما ، واذا كان هذا لا يعجزه فمن الاهون اعادة الانسان (أو لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون . أو ليس الذى خلق السموات

---

(١٤) سورة الطارق الآيتان ٥، ٦ .

والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم • انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون • فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون)(١٥) •

والكفار مع عنادهم وتكبرهم يستبعدون كلية اعادة الموتى للحساب يوم القيامة حيث يقولون كما يحكى القرآن الكريم (أءذا كنا عظاما ورفاتا أءنا لمبعوثون خلقا جديدا)(١٦) والقرآن الكريم يوقظ عقولهم ، ويدفعهم الى التفكر فى قدراتهم المحدودة والى الشعور بعجزهم ، حيث يتحداهم ان يحولوا أنفسهم الى حجارة أو الى حديد أو الى ذهب أو الى أى شىء يرونه كبيرا ويستبعدون اعادته يقول سبحانه (قل كونوا حجارة أو حديدا • أو خلقا مما يكبر فى صدوركم)(١٧) •

ومع عجزهم الكامل وعدم قدرتهم على مقابلة التحدى ، الا أنهم فى غرور المهزوم يقولون : لو حولنا أنفسنا الى حجارة أو حديد أو الى أى شىء فمن يعيدنا ؟ وهذا اعتراف آخر بعجزهم ، فهم عاجزون عن الخلق وعاجزون عن الاعادة وهم قابلون للخلق بدليل أنهم كانوا عدما ثم وجدوا ، وقابلون للاعادة يقول سبحانه (قل الذى فطركم أول مرة) أى الذى خلقكم فى البدء قادر على اعادتكم يقول البغدادى (ان الاعادة من طريق العقل جائزة ومن طريق الخبر واجبة)(١٨) •

---

(١٥) سورة يس من الآية ٧٧ الى الآية ٨٣ •

(١٦) سورة الاسراء الآية ٤٩ •

(١٧) سورة الاسراء الآيتان ٥٠ ، ٥١ •

(١٩) اصول الدين ص ٢٣٧ •

ونأتى الى سؤال مفاده ان الانسان يتكون من جواهر وأعراض فهل تعـدم الجواهر والأعراض ثم تعـاد ثانية ؟ أو تعـدم الأعراض وتبقى الجـواهر ثم تعـاد هـذه الأعراض ثانية يقول الغزالى (كل شىء ممكن وليس فى الشرع دليـل قاطـع على تعيين أحـد هـذه الممكنات ، وأحـد الوجهين ان تنعـدم الأعراض ويبقى جسم الانسان متصورا بصورة التراب مثلا فتكون قـد زالت منه الحيـاة واللـون والرطوبة والتركيب والهيئة وجملة من الأعراض ، ويكون معنى اعادتها ان تعاد اليها الأعراض بعينها أو تعاد اليها أمثالها .... والوجه الآخر ان تعـدم الأجسام أيضا ثم تعـاد بأن تخترع مرة ثانية)[19] .

وقـد ذهب أبو الحسن الأشعرى الى القول بأن ما عـدم سـواء أكان جـوهرا أم عرضا فأنه يعـاد ، لأن الاعادة ابتداء ثان وقـد صح الابتداء الأول للجـوهر والعرض فكذا يصح الابتداء الثـانى (وعلة التسوية بين الحوادث كلها فى جـواز اعادتها اشـتراكها فى الحـدوث فلا ينكر حـدوثها ثانية كما لم تستحل حـدوثها أولا)[20] .

وقال بعض الأشاعرة ومنهم القلانسى باعادة الجـواهر فقط أما الأعراض فلا تعـاد وهـذا بناء على أصلهم فى (ان المعـاد معاد لمعنى فلو أعيد العرض لقام به معنى)[21] .

ولا يرتضى الجوينى ما يقوله هؤلاء ويرى ان الاعادة بمثـابة

---

(١٩) الاقتصـــاد ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٢٠) اصــول الدين ص ٢٣٤ .

(٢١) الارشـــاد ص ٣٧١ .

النشأة الأولى وليس المعاد معاد المعنى لأنه هو الحادث بعينه[٢٢] .

ويتفق المعتزلة على القول باعادة الجواهر ويختلفون فيما بينهم فى اعادة الأعراض فالكعبى ومن اتبعه ينكرون اعادتها . والجبائى وكثير من المعتزلة يقولون (ما يعرف الخلق كيفيته أو يقدرون على جنسه أو لا يجوز ان يبقى فليس بجائز ان يعاد ، وما كان غير ذلك من الأعراض فجائز ان يعاد)[٢٣] .

وحقيقة لا ندرى سببا معقولا لهذا الخلاف والذى يدفعنا لهذا أن الكل سواء أكان جواهر أم أغراضا فهو حادث بقدرة الله سبحانه بدءا فما الذى يمنع من اعادته بعد اعدامه ؟ ..

المعاد والمثل :

المعدوم فى علم الله سبحانه ينقسم الى معدوم سبق له وجود ، والى معدوم لم يسبق له وجود وأيضا العدم فى الأزل ينقسم الى ما سيكون له وجود والى ما علم الله انه لا يوجد[٢٤] .

وعلم الله سبحانه وتعالى شامل ومحيط احاطة كاملة بما لم يوجد

---

(٢٢) منهم يقولون قد كان هذا الموجود يسمى حادثا ثم وجد فكان معادا فينبغى ان يكون ذلك متجددا عليه ، كما انا اذا شاهدنا الجوهر ساكنا ثم رأيناه متحركا فانا نعلم ان ذلك كان لوجود الحركة فلنقل فى المعاد انه معاد لمعنى ، والاعراض على هذا لا تعاد لاستحالة قيام المعنى بالمعنى . والرد أن المعاد هو الحادث بعينه وكما ان الحادث ليس بحادث لمعنى فكذلك المعاد شرح الارشاد ص ٦٠٩ .

(٢٣) مقالات الاسلاميين للأشعرى ح ٢ ص ٦١ وما يعرف الخلق كيفيته كالحركات والسكون وما ينشأ عنهما كالتأليف والتفريق والأصوات . وما لا يجوز ان يبقى كالارادات والأصوات .

(٢٤) الاقتصاد ص ١٨١ .

هـل سيوجد أو لن يوجـد ، وبما هـو موجود ، وبما عـدم بعـد وجوده • وقـدرته تسع كل شيء •

وهـو سبحانه يعلم المعـدوم الذى سبق له الوجـود ثم عـدم كزيد من الناس الذى دخـل الوجود بارادة كن ثم عـدم •

كما يعلم المعـدوم الذى لم يسبق له وجود • وبعلمه الأزلى يعلم العـدم الذى سيكون له وجـود ، والعـدم الذى لن يكون له وجود •

وعلى هـذا فمعنى الاعادة ان يبدل الله سبحانه بقـدرته المعدوم الذى سبق له الوجود بوجود مثال ذلك : محمد كان عـدما علم الله أنه سيوجد ثم وجـد بالفعل ، وبموته نقول أنه عـدم ، واعادته تعنى تبـديل العـدم بالوجـود •

ومعنى المثل اختراع الوجود لعـدم لم يسبق له وجـود كخلق أى شخص ابتداء ، فقـد كان عـدما لم يسبق له وجـود ثم اخترع له الوجـود (ومهما قـدر الجسم باقيا ورد الأمر الى تجـديد أعراض تماثل الأول حصل تصـديق الشرع ، ووقع الخلاص عن أشكال الاعادة وتمييز المعـاد عن المثل)(٢٥) •

كيفيـة الاعـادة :

والاعادة هـل تكون بعـد انعـدام الأجساد كلية من الوجـود أو بعـد تفرق أجزائها ؟ نقول ان كل ذلك جائز من ناحية العقـل ، فالموجـود الذى عـدم قابل لذاته للاعادة ثانيا ، اذ لو كان ممتنعـا لذاته لـا وجـد أولا ، ولو كان واجبا لذاته لـا عـدم ثانيا •

---

(٢٥) الاقتصـاد ص ١٨١ •

وهـذه القابلية للوجـود والعـدم تجعل الأمر فى دائرة الامكان العقلى ، ولا أثر للأوقات فى جعل الممكن لذاته واجبا لذاته أو مستحيلا لذاته .

وما ينطبق على الموجـود الذى عـدم ينطبق على الموجود الذى تفرقت أجزاؤه وليس فى الشرع دليل قطعى يؤكد ان الاعادة تكون عن عـدم فقط أو عن تفريق فقط . بل توجـد نصوص يمكن أن يفهم منها أن الاعادة عن تفريق ، ونصوص أخرى يمكن أن يفهم منها أن الاعادة عن عـدم مطلق .

ولا يعنى هـذا تضارب النصوص القرآنية ، بل يعنى ان الاعادة حـق وأنها فى قـدرة الله وأنه وحـده هـو الذى يعلم الحقيقة ، وان العقل قاصر عن ادراك الكيفية الحقيقية التى ستكون عليها .

يقول الجـوينى (فأن قيل هـل تعـدم الجواهر ثم تعـاد أم تبقى وتزول أعراضها المعهودة ثم تعاد بنيتها . قلنا يجـوز كلا الأمرين عقلا ، ولم يدل قاطع سمعى على تعيين أحـدهما فلا يبعـد ان تصير أجسام العباد على صفة أجسام التراب ثم يعاد تركيبها الى ما عهـد قبل ، ولا نحيل ان يعـدم منها شىء ثم يعـاد والله أعلم بعـواقبها ومآلهـا)(٢٦) .

ونذكر بعض النصوص القرآنية التى يمكن ان يفهم منها ان الاعادة عن تفريق . فقـد سأل سيدنا ابراهيم عليه السلام ربه ان يريه كيف يحيى الموتى ، لينتقل من علم اليقين الى عين اليقين ، فأمره عز وجـل ان يأخـذ أربعـة من الطير ثم يقطعن ويضـع الأجزاء على مناطـق مختلفة من الجبال ثم يناديهن .

---

(٢٦) الارشـاد ص ٣٧٤ .

وفعل ابراهيم عليه السلام ما أمره الله سبحانه ، ورأى كيف تجمعت الاشلاء المختلفة والمتفرقة لكل طائر على حدة ، وكيف عادت الحياة الى الطيور يقول سبحانه (واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم أدعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم)(٢٧) .

وفى سورة القيامة يقول سبحانه (ايحسب الانسان ألن نجمع عظامه . بلى قادرين على ان نسوى بنانه)(٢٨) .

فظاهر الآيات يرجح ان الاعادة تكون عن تفريق ، وعلم الله سبحانه واسع وقدرة شاملة ، وبعلمه وقدرته أودع فى كل جسم بشرى على حدة رمزا خاصا ، بحيث تتجمع المتفرقات لكل شخص مهما فصلت بينها الأبعاد ، وتستجيب بأمر الله أصول كل جسم بشرى لتأثير الروح التى رافقت الجسم بعينه فى الدنيا . ويقوم الانسان بأصلية المادة والروح عند سماع النفخة الثانية ، وتبدأ بقيامه أعمال الدار الآخرة من حشر ونشر وصراط وميزان وجنة ونار يقول سبحانه (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون)(٢٩) .

ويقول سبحانه (أءذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد . قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ)(٣٠) .

---

(٢٧) سورة البقرة الآية ٢٦٠ .
(٢٨) سورة القيامة الآيتان ٣ ، ٤ .
(٢٩) سورة الزمر الآية ٦٨ .
(٣٠) سورة ق الآيتان ٢ ، ٣ .

فالله سبحانه وتعالى يذكر استنكار واستبعاد منكرى الاعادة بعد الموت ، ويبين انه قادر على كل شىء فهو الذى خلقهم ويعلم كل جزئية تكون أجسامهم ويعلم ما تنقص الأرض من أجسامهم والى أين تذهب هـذه الأجزاء ، وكيف يجمعها مرة ثانية لتمثل أمام ذاته للحساب .

أما النصوص التى يمكن أن يفهم منها ان الاعادة تكون عن عـدم فمثل قوله تعالى (كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون)(٣١) ومثـل قـوله (كل من عليهـا فان . ويبقى وجـه ربك ذو الجـلال والاكرام)(٣٢) .

فقـد فسر الذين يقولون ان الاعادة تكون عن عـدم لفظ هالك وفان بأنه العـدم المطلق . وبناء على هـذا قالوا ان العـدم سيشمل كل شىء الا ذات الله سبحانه وتعالى .

بينما قال الأولون بأن الهلاك يعنى التفريق ، وخروج الشىء عن كونه منتفعا به والفناء يعنى الموت يقول الفخر الرازى (من الناس من فسر الهلاك بالعـدم .... ومنهم من فسر الهلاك باخراجه عن كونه منتفعا به اما بالاماته أو بتفريق الأجزاء ، فأنه يقال هلك الثوب وهلك المتاع ولا يريدون به فناء أجزائه بل خروجه عن كونه منتفعا به)(٣٣) .

وقـد استدل الذين فهموا الهلاك بأنه العـدم على قولهم بأن الهلاك يدل على معنيين :

١ - خروج الشىء عن حـد الانتفاع به .

---

(٣١) سـورة القصص الآية ٨٨ .

(٣٢) سـورة الرحمن الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

(٣٣) تفسير الفخر الرازى مجلـد ١٣ ج ٢٥ ص ٢٣ .

٢ ـ الفنا ءوالعـدم ـ ولا جائز ان يحمل الهلاك على المعنى الأول ، لأنه مع تفرق الأجزاء يبقى الشىء فى دائرة الانتفاع به حيث يستدل من خلاله على أن الخلود للخالق سبحانه • ومـع بطلان المعنى الأول يبقى القـول بصحة المعنى الثانى وهـو ان الهلاك يعنى العـدم والفنـاء المطلق •

أما دليل من قال ان الهلاك يعنى التفريق بالموت وخروج الشىء عن كونه منتفعا به فقـد قال ان الانسان وجـد لغاية معينـه وهى الاستخلاف فى الأرض وتحقيق العبودية للخالق ، وبمـوته تترقف صلاحيته للاستخلاف والعبودية فيخرج عن كونه منتفعا به •

وما يؤكد ان الهلاك بمعنى الموت قوله تعالى (ان أمرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك)[٣٤] وهلك أى مات •

والانسان يقول حينما يتمزق ثوبه أنه هلك أى أصبح غير منتفع به وفقـد صلاحيته للاستخدام[٣٥] •

ويقول ابن كثير فى تفسيره لقوله تعالى (كل من عليها فان • ويبقى وجـه ربك ذو الجـلال والاكرام) ان الله سبحانه وتعالى (يخبر ان جميع أهـل الأرض سيذهبون ويموتون •••• ولا يبقى أحـد سوى وجهـه الـكريم)[٣٦] •

---

(٣٤) سـورة النساء الآية ١٧٦ •
(٣٥) تفسير الفخر م ١٣ هـ ٢٥ ص ٢٥ •
(٣٦) تفسير القرآن العظيم المجلد الرابع ص ٢٧٢ •

العـذاب أو النعيم فى القبر حـق

الموت هـو الحقيقة الأكيدة التى لا يستطيع أن يمارى فيها أو يهرب منها أى انسان ، مهما تعـددت قـدراته العقلية ، وامكانيـاته العلمية والمـادية •

وهـذا يجعلنا نسأل لـماذا يموت الانسان ؟ والاجابة ببساطة يموت لان لـه بداية وكل ما له بداية فله نهاية ، ويموت لأنه متغير وكل متغير حادث ، ويموت ليؤكد انه ممكن الوجود والعـدم ، بدليل أنه قبل الوجود وها هـو يقبل العـدم ، وهـذا القبول لا ينفك عنه ، لأنه معطى له من فاعل الوجـود والعـدم • ويموت ليشهد بموته الأحياء على أنه لا خلود الا للخالد العظيم سبحانه وتعالى القائل (كل من عليها فان • ويبقى وجـه ربك ذو الجلال والاكرام)[1] •

ومع موته نقول عنه قامت قيامته أى انتهى الدور الذى من أجله جاء الى دنيا الناس • والموت فى الحقيقة لا يعنى الانقطاع عن الوجود كلية ، لان الروح باقيـة •

وقـد يصدق الانقطـاع والافتراق بالنسبة للذين رأوا الميت يودعهم فى صمت ، أما بالنسبة له فهو انتقال من دار الابتلاء والاختبار الى ممر أو دهليز يوصل بعـد فترة محسوبة فى علم الله سبحانه الى دار الحساب والجزاء •

---

(1) سـورة الرحمن الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

وهـذا الممر أو الدهليز سمه قبرا أو برزخا أو ما شـئت من أسماء ، فلن تغير التسمية من كنهه ، ولن تقلل أو تزيد مما يحدث فيه •

بل ان شئت ان توصى الأهل والأحباب أن يحرقوا الجسد بعـد الموت ، أو يغوصوا به فى أعماق البحار والمحيطات أو يصعدوا به فى الفضاء الخارجى بعيدا عن الجاذبية الأرضية افعل ما شئت فلن تفر من الممر أو الدهليز ومما يحـدث فيه •

وممرك أو دهليزك أو قبرك هـو المكان الذى قدره الله سبحانه •

وتفرق أعضاء الجسد فى أمكنة مختلفة لا يخرج عن علم الله الذى أعطى لكل جسد انسانى (شفرة) أو رقما سريا خاصا بحيث تتجـذب الأجزاء وتتجمع دون ان ترى ، وتخضع لتأثيرات الروح أو لنوع ما من الحياة يعطى لهـا بحيث يصـير الميت قادرا على السماع والفهم والاجابة ، وبالتالى يحس بالالم ويشعر باللذة ، كما كان فى عالم الابتلاء والاختبار • لكن الفرق الوحيد أن عالم البرزخ له صورته ومقاييسه وطبيعته الخاصـة به •

ونخطىء كثيرا حينما نقول أننا نرى الجسد مسجى فى القبر ولا أثر لفهم أو ألم أو لذة • ونخطىء أكثر حينما نضع أجهزة للتصنت فى القبر (أو كاميرات) للتصوير ، أو نضع على الجسد نفسه بعض المواد ونتابع عن كثب •

فمقاييسنا تخص دنيانا وحدها ، ولا تصلح البته لعالم البرزخ •

وفى دنيانا نفسها تختلف المقاييس التى نقيس بها تبعـا للشىء الذى نقيسه • فنحـن لا نستطيع أن نقيس درجـة حرارة المريض بميزان نزن به اللحوم ، ولا نستطيع أن نقيس الأرض الزراعيـة

بالميكروسكوب ، ولا نستطيع أن نحلل الدم بالتلسكوب — فكل جهاز من الأجهزة له وظيفة محــددة من أجلها صنع .

ونحن لم نعرف بعــد الجهاز الذى يطلعنا على ما يحــدث فى البرزخ ، ولا تعنى عــدم معرفتنا الا تأكيد جهلنا أما البرزخ والعــذاب والنعيم فيــه فحــق .

وفى دنيانا تبث أجهزة الارسال المواد الاعلامية وغيرها فى الفضاء الخارجى ، ولا نراها بعيوننا بل نرى فى الخلاء خلاء .

فهل يمكننا أن نقول أن أجهزة الارسال لا تبث شيئا ، لأننا لم نر ولم نسمع ؟ أعتقد ان أجهزة الاستقبال المسموعة والمرئية تكذبنا على الفور ان نحن قلنا ذلك . وفى دنيانا تنام المرأة بجــوار أولادها فى غرفة واحــدة ، ويجلس الزوج بجوار الكل يقــرأ الصحيفة ، وترى المرأة أحــلاما مفزعة تدفعها للصراخ والتألم ، ويرى كل ابن من الأبناء ما يسعده أو يشقيه ، والزوج ما زال يقرأ الصحيفة ، وينظر أحيــانا الى زوجته وأبنائه النيام ولا يرى ولا يسمع شــيئا ، بل قــد تتركه زوجته وهى نائمــة وتسافر الى أمريكا مثلا للعلاج ، وتبقى شــهورا هناك ، وفجأة تقوم من نومها وتنظر الى الساعة فى معصمها والى الزوج الذى يقرأ الصحيفة فلم يمض الا القليل من الوقت .

ان عالم البرزخ عالم ينعــدم فيه الزمان والمكان تماما كما ينعــدم الزمان والمكان فى أثناء النوم ولا ينبغى أن تقــاس ظواهره بمقــاييس دنيــويه .

وبناء على ذلك فأن العقــل يحكم بجواز ان يعطى الميت فى قبره نوعا من الحياة والفهم ليسمع ويجيب ، ويحس بالألم أو السعادة . كما لا يحيل العقل أن يأتى ملكان للميت يسألانه عن ربه ودينه ورسوله ، فالكل بقــدرة الله سبحانه .

واذا كان العقل يحكم بامكان ذلك فان النقل يؤكد وقوعه ، يقول الغزالى (وأما سؤال منكر ونكير فحق ، والتصديق به واجب لورود الشرع به وامكانه ، فان ذلك لا يستدعى منهما الا تفهيما بصوت أو بغير صوت ، ولا يستدعى منه الا فهما)(٢) •

واذا كان الاحياء لا يرون منكرا ونكيرا فهذا لا يعنى عدم وجودهما ، فليس بلازم ان نرى كل موجود •

فنحن نؤمن بوجود الله سبحانه ولا نراه ، ولقد كان جبريل عليه السلام ينزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يره الصحابة فى كل مرة بل لم تره السيدة عائشة وهى أحب زوجات الرسول اليه بعد السيدة خديجة •

النقل وعذاب القبر :

واذا كان العقل يحكم بجواز العقاب أو النعيم للميت فى قبره ، فأن الأدلة النقلية من القرآن الكريم والسنة المطهرة تتضافر لتؤكد الوقوع •

١ — يقول سبحانه وتعالى فى شأن آل فرعون (وحاق بال فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب)(٣) والقيامة لم تقم بعد ، وآل فرعون يعرضون على النار فى الغداة والعشى ، فأى نار يعرضون عليها سوى نار القبر •

ثم ان العطف بالواو يقتضى المغايرة ، فحينما أقول جاء محمد

---

(٢) الاقتصاد ص ١٨٣ .
(٣) سورة غافر الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

وعلى فقد عطفت عليا على محمد ومن المؤكد أن المعطوف غير المعطوف عليه . فالغدو غير العشى غير يوم القيامة ، فالنار التى يعرضون عليها فى الغدو والعشى هى فى الدنيا غير النار التى سيدخلونها بأمر الله فى الآخرة .

٢ — ويقول سبحانه وتعالى فى شأن قوم نوح الذين عادوه ، ولم يتبعوا دعوته (مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا)(٤) . فالعطف بالفاء فى اللغة العربية يقتضى الترتيب والتعقيب ، فحينما نقول دخل الشيخ فالطالب فانما نعنى ان الطالب دخل عقب دخول الشيخ مباشرة .

والآية الكريمة تذكر ان قوم نوح بعد اغراقهم دخلوا النار مباشرة ، واذا كانت القيامة لم تقم بعد فأن هذا يعنى ان النار التى دخلوها هى نار القبر .

يقول الفخر الرازى فى تفسير الآية الكريمة (تمسك أصحابنا فى اثبات عذاب القبر بقوله « اغرقوا فادخلوا نارا » وذلك من وجهين : الأول ان الفاء فى قوله « فادخلوا نارا » تدل على أنه حصلت تلك الحالة عقيب الاغراق ، فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة والا بطلت دلالة هذه الفاء — الوجه الثانى أنه قال فادخلوا على سبيل الاخبار عن الماضى ، وهذا انما يصدق لو وقع ذلك)(٥) .

٣ — ويقول سبحانه وتعالى حكاية عن أهل النار من الكفار (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين)(٦) فالحياة الأولى بنفخ الروح

---

(٤) سورة نوح الآية ٢٥ .
(٥) تفسير الفخر م ١٥ حـ ٣٠ ص ١٤٥ .
(٦) سورة غافر الآية ١١ .

فى الأجنة ، والموتة الأولى المشاهدة فى الدنيا ، والحياة الثانية فى القبر ثم تكون الموتة الثانية • يقول الرازى (أحتج أكثر العلماء بهـذه الآية فى اثبات عـذاب القبر ، وتقرير الدليل أنهم اثبتوا لأنفسهم موتتين حيث قالوا « ربنا أمتنا اثنتين » فاحدى الموتتين مشاهدة فى الدنيا فلابد من اثبات حياة أخرى فى القبر حتى يصير الموت عقيبها موتا ثانيا فذلك يدل على حصول حيـاة فى القـبر)(٧) •

ولايمكن أن يقال ان احـدى الاماتتين ترجـع الى أن الله خلق الانسان من نطفة ميتة ، لأن الاماتة فى الحقيقة لا تكون الا بعـد حياة فالحى هـو الذى يموت بازالة الحيـاة عنه أما الميت فلا يموت(٨) •

٤ — ويقول سبحانه وتعالى فى شأن الكافرين انهم سيعذبون مرتين ، ثم يردون الى عـذاب أليم (سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عـذاب عظيم)(٩) فالمرة الأولى فى الدنيا باصابتهم بالأمراض والضيق النفسى والقلق ، والمرة الثانية فى القبر ، ثم يكون بعثهم فى الآخرة ليتلقـوا العـذاب العظيم •

يحكى الرازى أقـوالا عن أنس بن مالك وعن مجاهـد وعن قتادة وعن الحسن وعن محمد بن اسحاق تؤكد كلها أن المرة الثانية هى عـذاب القبر ثم يقول (والأولى أن يقال مراتب الحياة ثلاثة : حياة الدنيا ، وحياة القبر ، وحياة القيامة فقوله « سنعذبهم مرتين » المراد به عـذاب الدنيا بجميع أقسامه وعـذاب القبر وقوله « ثم يردون الى عـذاب عظيم » المراد منه العـذاب فى الحياة الثالثة وهى الحياة فى القيـامة)(١٠) •

---

(٧) تفسير الفخر م ١٤ حـ ٢٧ ص ٤٠ •
(٨) شرح الأصـول الخمسة ص ٧٣١ •
(٩) سـورة التـوبة الآية ١٠١ •
(١٠) تفسير الفخر م ٨ حـ ١٦ ص ١٧٧ •

٥ — سأل أبو حنيفة رضى الله عنه ابنه حماد عن عـذاب القبر ، فقال انه حـق ، فسأله عن الدليل فقال يقول سبحانه (وان للذين ظلموا عـذابا دون ذلك)[١١] أى عـذابا أقـل من عـذاب جهنم وهو عـذاب القـبر[١٢] ٠

وفى السنة المشرفة أحاديث كثيرة متواترة المعنى كلها تؤكد ان العـذاب أو النعيم فى القبر حـق ، وأن السؤال حـق نذكر بعضـا منها على سبيل المثال ٠

(أ) يروى البخارى ومسلم عن مجاهـد عن ابن عباس قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم بحائط من حيطان المدينة — أو مكة — فسمع صوت انسانين يعـذبان فى قبورهما فقـال النبى صلى الله عليه وسلم « يعـذبان وما يعـذبان فى كبير — ثم قال — بلى كان أحـدهما لا يستتر من بوله ، وكان الآخر يمشى بالنميمة » ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين ، فوضع على قبر كل منهما كسرة ٠ فقيل له يا رسول الله لم فعلت هـذا قال « لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا » ٠

(ب) ويروى البخارى ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ان أحـدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغـداة والعشى ان كان من أهل الجنـة فمن أهل الجنة ، وان كان من أهـل النار فمن أهـل النار ، يقال له هـذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة) ٠

---

(١١) سـورة الطـور الآية ٤٧ ٠

(١٢) بحر الكلام للنسفى ص ٧٧ ط ١٣٤٠ هـ ٠

(جـ) ويروى البخارى عن نافع ان ابن عمر رضى الله عنهما أخبره قال (اطلع النبى صلى الله وعليه وسلم على أهل القليب[13] فقال وجـدتم ما وعـد ربكم حقا فقيل لـه تدعو أمواتا ؟ فقال ما أنتم باسمع منهم ولكن لا يجيبون) •

(د) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعـو « اللهم انى أعـوذ بك من عـذاب القبر ومن عـذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجـال »[14] •

(هـ) وعن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه حـدثهم ان رسول الله قال (ان العبد اذا وضـع فى قبره وتولى عنـه أصحابه ، وانه ليسمع قرع نعالهم — أتـاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول فى هـذا الرجل ؟ — لمحمد صلى الله عليه وسلم — فأما المؤمن فيقول أشهد انه عبد الله ورسوله •••• وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول فى هـذا الرجل فيقول لا أدرى ، كنت أقول ما يقول الناس « فيقال لا دريت ولا تليت » ويضرب بمطـارق من حـديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين[15] •

(و) عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال (كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال « استغفروا

---

(١٣) وهم أصحاب قليب بدر من قتلى المشركين . والحـديث يروى مطـولا فى كتاب المغـازى . بصحيح البخارى •

(١٤) رواه البخـارى •

(١٥) رواه البخـارى •

لأخيكم وأسألوا له بالتثبيت فانه الآن يسأل[16] ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مصدقين تصديقا قلبياً جازماً لا يداخله أى شك بأن عذاب القبر أو النعيم فيه حق ، وأن سؤال الملكين حق .

بقى أن نقول : ان حال الميت يختلف عن حال الحى من وجهين .

أولهما — انه بالموت يبعد الميت قسرا عن كل ما يملك ، ولا يبقى معه الا عمله ، وبقية تركها تكون سببا فى زيادة عمله يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقه جاريه ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له)[17] .

ثانيهما — انه بالموت ينكشف للميت كل شىء لم يكن مكشوفا له فى الحياة ويحدث الانكشاف عند انقطاع النفس وقبل الدفن وعند الدفن ترد روحه الى الجسد[18] .

شبهات والرد عليها

يثير المنكرون لعذاب القبر أو النعيم فيه ، أو سؤال منكر ونكير شبهات ، نذكر بعضا منها مع الرد على كل شبهة بايجاز .

أولا — يقولون ان الاستدلال بالآية الكريمة (مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا) على عذاب فى القبر ، بحجة أن العطف بالفاء يقتضى الترتيب والتعقيب . هذا الاستدلال لا يصح اذا علمنا أن زمن الدنيا قليل اذا قيس بزمن الآخرة . وعلى هذا فان الترتيب

(١٦) رواه ابو داود فى سننه .
(١٧) رواه مسلم .
(١٨) الاحياء حـ ٤ ص ٤٧٨ .

والتعقيب واقـع حقيقة فالآخرة تتبع الدنيا بلا تراخ وهى التى يكون فيها الادخال فى النار ، لا فى القبر •

ويرد على هـذا الكلام بأنه تأويل لا معنى له ، واللجـوء الى التأويل انما يكون لضرورة ، ولا ضرورة هنا تدعو الى ذلك ، ثم ان الآية الكريمة صريحة فى أن الادخال فى النار يقـع عقيب الاغراق وهذا يعنى أنه محقق فى الدنيا أى فى القبر •

ثانيا ـ يقولون ان القرآن الكريم به المحـكم والمتشابه ، ومن الواجب رد المتشابه الى المحكم وفيما يتصل بموضوعنا فان من المحكم الآية الكريمة (يومئذ يصـدر الناس اشتاتا ليروا أعمالهم)[19] •

ولا شك أن الآية تتحدث عن احياء الله للموتى يوم القيـامة ، وخروجهم الى أرض المحشر للحساب •

أما الآية الكريمة (النار يعرضون عليها غـدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشـد العـذاب) فهى من المتشابه فالنار تعنى الجحيم فى الآخرة ، كما تعنى المصائب والمحن والبلايا • يقـول الرجل أنا فى نار ويعنى أن المصائب والمحن تلاحقه فاذا حملنا الآية الكريمة لتتوافق مـع الآية المحكمة السابقة ، لزم أن نقـول بالمعنى الثانى للنار ، أى أن قوم فرعون فى بلايا ومصائب فى الغـدو والعشى •

كما أن بالآية تقـديما وتأخيرا ، فيمـكن أن تنطق هكذا (يوم تقـوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العـذاب • النار يعرضون عليها غـدوا وعشيا) وبناء على هـذا لا عـذاب فى القبر •

---

(١٩) سـورة الزلزلة الآية ٦ •

ويرد عليهم ان النص واضح الدلالة فلا يحتاج الى تأويل • وان النصوص القرآنية والحديثية الأخرى تعضد القول بعذاب القبر ونعيمه • والجمهور على أن العرض فى البرزخ ، ويكون ما دامت الدنيا ، والى هذا ذهب الكثير منهم مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد ابن كعب •

والقول بالتقديم والتأخير فى الآية الكريمة هو خلاف لما ذهب اليه الجمهور وتلاعب بالنص القرآنى[20] •

ثالثا — يقولون ان القرآن الكريم يحدد أن أهل الجنة (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى)[21] وهذا يعنى أنه لا توجد سوى موتة واحدة ، هى التى ماتوها فى الدنيا ، فلو كانوا أعطوا حياة ثانية فى القبر للزم أن يذوقوا الموت مرتين ، وهذا خلاف النص •

ويرد عليهم بأن القرآن الكريم لا تتضارب آياته ففى آية أخرى يقول (ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين) فهناك موتاتان وحياتان •

أما الآية الكريمة فتعنى أن أهل الجنة لن ينقطع النعيم الذى هم فيه بالموت كما انقطع نعيم الدنيا به •

ثم ان أل فى قوله تعالى (الموتة الأولى) للجنس لا للوحدة ، والمعنى لا يذوقون فى الجنة الموت الا جنس الموتة الأولى ، فيصدق الجنس بالمتعدد ويشمل الموتتين[22] •

رابعا — يقول سبحانه وتعالى (وما أنت بمسمع من فى القبور)[23]

(٢٠) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبى جـ ١٥ ص ٣١٨ .
(٢١) سورة الدخان الآية ٥٦ .
(٢٢) مذكرات الشيخ صالح شرف ص ٥١ .
(٢٣) سورة فاطر الآية ٢٢ .

فلو كان من فى القبور يعطون حياة ، لكان بالا مكان أن يسمعوا وهذا خلاف المفهوم من النص الشريف .

ويرد عليهم بأن المراد أن الكفرة يصمون آذانهم وكأنهم موتى لا يسمعون فتمثيل حال الكفرة بحال الموتى بعد الموته الثانية التى تحدث فى القبر ، ثم ان (عدم اسماع من فى القبور لا يستلزم عدم ادراك المدفون)[٢٤] .

خامسا — عذاب الميت فى القبر اما أن يكون للجسد بدون الروح أو بادخال الروح للجسد

وليس من الجائز أن يعذب الجسد دون الروح لانه لا يحس . ولو ادخلت الروح للجسد لاحتاج الانسان الى موتة ثانية وهذا باطل لقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت)[٢٥] فالآية تدل على أن الانسان لا يذوق الموت الا مرة واحدة واذا (بطل القسمان تعين القسم الثالث وهو أن لا يعذب فى القبر)[٢٦] .

ويرد عليهم بالموافقة على القسم الأول حيث لا نقول بأن الجسد يعذب بدون الروح . وبرفض بطلان القسم الثانى . ومستندنا أن أل فى قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) للجنس أى جنس الموت وقد يكون الموت مرتين أو ثلاثة ، ولا مانع فى ذلك بل النصوص القرآنية تؤكد ذلك وقد مر قوله تعالى (ربنا امتنا اثنتين) وقصص القرآن تذكرنا بهذه الحقيقة مثل قصة أصحاب الكهف الذين اماتهم الله سبحانه ثلثمائة وتسع من السنين ثم أحياهم ثم اماتهم[٢٧] . وقصة

---

(٢٤) شرح مطالع الأنظار ص ٢٢٨ .
(٢٥) سورة آل عمران الآية ١٨٥ .
(٢٦) بحر الكلام ص ٧٦ .
(٢٧) راجع الكهف الآيات ٩ — ٢٦ .

عزير الذى أماته الله مائة عام ثم أحياه ثم أماته(٢٨) وهــؤلاء الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حــذر الموت فأماتهم الله سبحانه وتعالى ثم أحياهم ثم أماتهم(٢٩) • والنتيجة من كل هــذا أن الاحياء ثانيا فى القبر حــق ، لأنه احياء لقابل ، أو ممكن وهــو فى مقــدور الله سبحانه وقــدرته سبحانه وتعالى واسعة شاملة •

سادسا ــ يقولون انه لا نزاع فى أن الالم واللذة والفهم والتكلم ، انمــا تثبت هــذه الأمور للانسان ما دام متصفا بالحيــاة والعقــل ، فاذا سلبت الحياة والعقل بالموت ، وفسدت البنية ، فــلا ألم ولا لــذة ولا فهم ولا تكلم ، والقول بغير هــذا يخالف العقل •

ثم اننا فى الحياة نرى الميت لا يتحرك كما نرى المصلوب لا يبدو عليه أى أثر للــذة أو ألم •

ان تجــويز احياء الميت فى القبر ، وفهمه للسؤال ، والاجابة عنه ، واحساسه بالعــذاب أو النعيم ، قــول يتناقض مع العقل •

ويرد عليهم أن التناقض الحقيقى هو أن لا يعرف الإنسان حقيقة ذاته، وأنه مخلوق وليس بخالق، وأنه مجرد قابل، وأن القابلية فيه ذاتية فهو يقبل الوجود ويقبل العدم.

والفــاعل الحقيقى لوجـــوده أو لعــدمه هــو الله سبحانه • فالانسان يقبل كل التغيرات ، والله عز وجل يفعل كل التغيرات • فأى مانع يمنع القادر الحقيقى فى التصرف بمخلوقاته وفق مشيئته ان العقل يجــوز كل شىء ، والنص الدينى يؤكد اعطاء الميت فى قبره نوعا من

---

(٢٨) راجــع ســورة البقرة الآية ٢٥٩ .

(٢٩) راجــع ســورة البقرة الآية ٢٤٣ .

الحياة حتى يتمكن من فهم السؤال ويجيب عليه (والجواب اجمــالا أن جميع ما ذكرتم استبعادات لا تنفى الا مكان كسائر خوارق العادات واذ قــد أخبر الصادق بها لزم التصــديق ٠٠٠٠ والقول بأن تجــويز أمثال ذلك يفضى الى السفسطة انمــا يصح فيما لم يقم عليه الدليــل ولم يخبر به الصــادق)(٣٠) ٠

(٣٠) شرح المقاصــد حـ ٢ ص ١٦٣ ٠

المعتزلة وعـذاب القـبر

يذهب الغزالى كغيره من الأشاعرة والماتريدية الى القول بأن المعتزلة ينكرون عـذاب القبر ونعيمه ٠

وقبل أن أذكر الموقف بايجاز شديد من خلال علم من أعلامهم — قـدر لبعض كتبه أن تصل الينا ، ومنها الموسوعة الكلامية الضخمة — المغنى — وشرح الأصول الخمسة ، والمحيط بالتكليف — أرى ضرورة اعادة دراسـة موقف المعتزلة من هـذه القضية بل والسمعيات كلهـا من خلال كتبهم اذ يخيل الى أن هناك نوعا من التحامل أو الخلط ٠

يقول القاضى عبد الجبار بن أحمد المعتزلى عن عـذاب القـبر (انه لا خلاف فيه بين الأمة الا شىء يحكى عن ضرار بن عمرو ٠٠٠٠ ولهـذا نرى ابن الراوندى يشنع علينا ويقـول ان المعتزلة ينكرون عـذاب القبر ولا يقرون به)[1] ٠

فهو فى البدء يحـدد براءة المعتزلة ممـا هـو شائع بأنهم ينكرون عـذاب القبر ، ويذكر أن الذى يشنع عليهم بهـذه الأكذوبة المرفوضة هـو ابن الراوندى ٠

ثم يناقش القاضى عبد الجبار مواضع أربعة تتصل بعـذاب القـبر ونعيمـه ٠

---

(١) شرح الأصـول الخمسة ص ٧٣٠ ٠

الموضع الأول : ثبوته ويستدل على ذلك بمثل ما استدل أهل السنة حيث يقول بالجواز العقلى ، وبالوقوع الفعلى بأدلة الشرع من قرآن كريم وسنة مطهرة فعقيدة الرجل فى القول بالثبوت واضحة .

الموضع الثانى : كيفية ثبوته . ويذهب الى القول بأن الله سبحانه وتعالى اذا أراد تعذيب أحد من الموتى فلابد من احيائه لأن تعذيب الجماد محال واذا كان لابد من الاحياء ليصح التعذيب (فلابد أن يخلق الله فيهم العقل ليحسن التعذيب والا اعتقد المعاقب المعذب أنه مظلوم)[1] .

الموضع الثالث : وقت وقوعه وهنا نجده يخالف أهل السنة فمع أنه لا ينكر عذاب القبر الا أنه يرى أن وقته غير محدد ومن الجائز أن يكون بين النفختين يقول تعالى (« ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون . فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون »[3] والبرزخ فى اللغة انما هو الأمر الهائل العظيم ولا معنى له الا العذاب)[4] .

ومن المعروف أنه مع النفخة الأولى يموت الخلق جميعا الا من شاء الله . ثم مع النفخة الثانية يقومون جميعا للحساب .

ولا أدرى ماذا يعنى قول القاضى عبد الجبار ، ألا يتنافى هذا القول مع الآيات القرآنية المثبتة للعذاب فى القبر بعد الدفن أو الموت مباشرة .

ان عزاعنا أن القاضى لم يقطع بوقت التعذيب ، بل قال من

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٢ .
(٣) سورة المؤمنون الآية ١٠٠ — ١٠١ .
(٤) شرح الأصول ص ٧٣٢ .

الجائز ، وهـذا الجواز ينسحب ليشمل تفسير البرزخ بأنه الفاصـل بين الدنيا والآخرة أى القبر ، وهـذا التفسير يجعـل وقت العـذاب يبدأ مـع الدخـول فى البرزخ .

الموضع الرابع : الفـائدة من عـذاب القـبر ، (وكونه مصلحة للمكلفين ، فانهم متى علموا أنهم أن أقـدموا على المقبحات واخـلوا بالواجبات عـذبوا فى القبر ، ثم بعـد ذلك فى نار جهنم كان ذلك صارفا لهم عن القبائح داعيا الى الواجبات وما هـذا سبيلة وكان فى مقـدور الله تعالى فلابد من أن يفعله) وكلامه هـذا مبنى على قـولهم — أى المعتزلة — بأن أفعال الله تعالى تعلل بالأغراض ، وقولهم بوجوب فعـل ما فيه مصلحة للعباد على الله تعالى(٥) .

وقـد ناقشنا قولهم هـذا فى بداية الكتاب . والقاضى عبد الجبار المعتزلى يرد على الذين ينكرون عـذاب القبر بحجة أن النباش للقبور لا يرى أى أثر على الموتى من عـذاب أو نعيم ، وكذا المصلوب والميت الذى يبقى طـويلا بلا دفن لا يرى عليهما أى أثر للعـذاب . حيث يقول انه من الجائز (ان لا يعـذبه الله تعالى فى هـذه الحالات التى يطلع عليها النباش أو غيره ، أو يعـذبه على وجه يستتر عنهم لوجـه من المصلحة .... وان القوى فى هـذا الباب انه تعالى يؤخر ذلك الى ما بين النفختين)(٦) .

ودفاعه هذا يؤكد انه يجوز العـذاب والنعيم فى القبر ، وعـدم قطعه بوقت محـدد له ، وان كان يميل فقط الى انه بين النفختين .

---

(٥) شرح الأصـول ص ٧٣٢ — ٧٣٣ .
(٦) شرح الأصـول ص ٧٣٣ .

وعن سؤال منكر ونكير :

نجــده يرد على الذين يعترضون على هــذه التسمية بحجة انها توحى بالذم وهــو لا يليق بملائكة الله سبحانه وتعالى •

ويمكن ايجاز رده فيما يلى :

(أ) ان العــذاب حــق ، فلابد من معــذب — بكسر ما قبــل الآخر اسم فاعل — والعقل يجوز أن يكون الله سبحانه هــو المعــذب ، كما يجوز أن يكون ملاكا من الملائكة •

(ب) ان النص قــد ورد بأن الله تعالى يسند هــذه المهمة الى ملكين يسمى الأول منكرا والآخر نكيرا •

(جـ) ان هــذه الأسماء بمنزلة غيرها (من الألقاب التى لاحظ لها فى افادة المدح والذم — وهى جارية — على طريقة العرب وتسميتهم أبناءهم واعزتهم بالصخر والكلب والذئب)(٧) دون أن تفيد هــذه الأسماء أى مدح أو ذم •

(د) ويمكن أن تكون التسمية مبنية على أســـاس أنهما ليسا بمعروفين للغير ، فالأول منكر والآخر نكير بالنسبة لهــذا الغــير •

والله أعلم ••

---

(٧) شرح الأصــول ص ٧٣٤ •

ثبت بأهم المراجع

١ — احياء علوم الدين ، الامام محمد بن محمد الغزالى المتوفى ٥٠٥ هـ ، طبعة الحلبى ، ١٩٣٩ .

٢ — الارشاد ، عبد الملك بن عبد الله الجوينى المتوفى ٤٧٨ تحقيق ، د. محمد يوسف موسى ، ط الخانجى ، ١٩٥٠ .

٣ — أصول الدين ، عبد القاهر بن طاهر البغدادى ، ٤٢٩ هـ ، استانبول ، ١٣٤٦ هـ .

٤ — الاقتصاد فى الاعتقاد ، الامام الغزالى ، تحقيق الشيخ محمد مصطفى ابو العلا ، مكتبة الجندى .

٥ — بحر الكلام ، ابو المعين ميمون النسفى ط ١٣٤٠ .

٦ — تبصرة الأدلة ، أبو المعين ميمون النسفى ٥٠٨ هـ ، تحقيق د. محمد الأنور ، رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية أصول الدين .

٧ — التعريفات ، الشريف الجرجانى على بن محمد ٨١٦ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣ .

٨ — تفسير الفخر الرازى ، فخر الدين الرازى ٦٠٦ هـ ، حـ ٧ — ١٦ — ٢٠ — ٢٣ — ٢٥ — ٢٧ — ٣٠ ، دار الفكر ، ١٩٨١ .

٩ — التمهيد ، محمد بن الطيب الباقلانى ، ٤٠٣ هـ ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان ، ١٩٨٧ .

١٠ — شرح الارشاد ، أبو بكر بن ميمون ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨٧ . تحقيق د. أحمد حجازى السقا .

١١ — شرح الأصول الخمسة ، القاضى عبد الجبار بن أحمد ، ٤١٥ هـ ، تحقيق ، د. عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، ١٩٦٥ .

١٢ — شرح مطالع الأنظار ، ابو الثناء شمس الدين بن محمود الأصفهانى ، ٧٤٩ هـ ، على متن الطوالع للبيضاوى ، ٦٨٥ هـ ، ط ، ١٣٢٣ هـ .

١٣ ــ شرح المقاصــد ، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى ، ٧٩٣ هـ ، ط ، ١٢٧٧ هـ .

١٤ ــ شرح المواقف ، السيد الشريف الجرجانى ، ٨١٦ هـ ط ، ١٣١١ هـ .

١٥ ــ لسان العرب ، جمال الدين بن منظور ، ط دار المعارف .

١٦ ــ المحصــل ، فخر الدين الرازى ، مكتبة الكليات الأزهرية .

١٧ ــ المختصر فى اصول الدين ، القاضى عبد الجبــار ، دار الشروق ، ١٩٨٧ .

١٨ ــ مذكرات فى التوحيد ، الشيخ صالح شرف ، مطبعة الأزهر ، ١٣٦٢ .

١٩ ــ المضنون به على غير اهله ، الامام الغزالى ، دار الحكمة ، دمشق ، ١٤٠٧ هـ .

٢٠ ــ المطالب العالية ، فخر الدين الرازى ، تحقيق د. أحمد حجازى السقا ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٨٧ .

٢١ ــ المغنى ، القاضى عبد الجبار ، حـ ١١ ــ ١٥ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ط أولى .

٢٢ ــ مقالات الاسلاميين ، ابو الحسن على بن اسماعيل الأشعرى ٣٣٠ هـ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط ثانية ، ١٣٨٩ هـ .

٢٣ ــ الملل والنحــل ، محمد بن عبد الكريم الشهرستانى ، ٥٤٨ هـ ، تحقيق عبد العزيز الوكيل ، مؤسسة الحلبى .

٢٤ ــ المنقــذ من الضلال ، الغزالى ت د. عبد الحليم محمود ، ط ٤ ، ســنة ١٩٦٤ .

٢٥ ــ المنية والأمل ، للقاضى عبد الجبار .

٢٦ ــ نهاية الاقــدام ، للشهرستانى ، صححه الفريد جيوم .

الفهـــرس

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة